الإعداد العسكري للحرب ضد العراق

تمهيد:

- أولا : القدرات العسكرية الأمريكية فى مسرح العمليات .
- ثانيا : الإعداد العسكري العراقي .
- ثالثا : دور بعض القوى الإقليمية المؤثرة .
  (دول مجلس التعاون الخليجي / تركيا / إسرائيل)
- رابعا : الإعلام والحرب النفسية وهوس الحرب .

---

* أعد هذا الفصل: لواء أ ح / عثمان كامل حسين الخبير الاستراتيجي.
لواء أ ح بحري / محمد يسري قنديل الخبير الاستراتيجي.
لواء أ ح طيار د/ مصطفى إبراهيم الشرقاوى الخبير الاستراتيجي.

تمهيد:

أعلنت الولايات المتحدة الأمريكية عن أهدافها الاستراتيجية للحرب ضد العراق وتتمثل فى ثلاثة أهداف "معلنة" وأربعة أهداف "غير معلنة" (حقيقية).

الأهداف المعلنة:

- امتلاك العراق أسلحة دمار شامل بما يهدد الأمن وما يتطلبه ذلك من تفتيش وتدمير ما يكتشف.
- الصلة بشبكات الإرهاب الدولى وتنظيم القاعدة مما يتطلب التدخل العسكرى للقبض على أعضاء الشبكة الإرهابية الدولية.
- انتهاك حقوق الإنسان.

الأهداف الحقيقية:

- السيطرة الكاملة على بترول العراق والخليج.
- تغيير السلطة الحاكمة فى العراق وتعيين حكومة موالية للولايات المتحدة.
- ترتيب الأوضاع فى المنطقة بما يخدم الهيمنة الأمريكية على المقدرات فى ظل النظام العالمى الجديد.
- تهدئة الهواجس الأمنية لدى إسرائيل وإزالة أى مصدر لتهديدها، بما يحقق أمنها وضمان تفوقها عسكرياً على جميع جيرانها.

وهذه الأهداف تتناسب مع الأهداف الأمريكية لزعامة عالم يتحرك لإرساء تشكيل نظام عالمى جديد تكون فيه الولايات المتحدة الأمريكية القطب الأوحد بينما يعمل المجتمع الدولى على أن يكون نظاماً متعدد القطبية وهذا ما يفسر ظهور المعارضة الدولية من قبل الدول الكبرى دائمة العضوية فى الأمم المتحدة

حـــتى يـــتحقق إعـــادة تشكيل النظام إلى نظام متعدد القطبية ولكن هناك بعض المحـــددات حيث إنه بالرغم من أن الكثيرين فى الولايات المتحدة وفى الخارج يتعاطفون مع هدف تغيير النظام الحاكم فى العراق ولكنهم يعارضون أن يتم ذلك خلال عمل عسكري متعدد الأطراف ضد العراق أو من جانب الولايات المتحدة فقط ما لم يكن ذلك بموافقة من مجلس الأمن باستخدام القوة.

ولقد ألقى ذلك بظلاله على الإعداد والتخطيط العسكرى للعمليات العسكرية ضـــد العـــراق علـــى القيادة الأمريكية وأبرز عدة مبادئ وخطوط عامة يجب الالتزام بها عند وضع خطط الهجوم وأهمها:

أ- يجـــب أن تكون مدة الحرب أقصر ما يمكن للتخفيف من تأثيرها على الرأى العام العالمي وعلى الدول المعارضة كالدول العربية وبعض الدول الأوروبية وغيرها.

ب- الإقلال ما أمكن من الخسائر البشرية فى قوات التحالف وكذلك فى السكان المدنيين العراقيين.

جـــ- سرعة احتلال الأهداف الحيوية الاستراتيجية وخاصة مناطق آبار البترول ومناطق إنتاجه وكذلك الموانى والمطارات قبل تدميرها.

د- سرعة حصار بغداد وإسقاط النظام العراقي الحاكم والقبض على زعمائه.

هـــ- الاستفادة من العناصر المناوئة للنظام الحاكم فى تسهيل أعمال القتال.

محددات استخدام أمريكا للقوة العسكرية

مـــا سبق ينقلنا إلى موقف آخر يتعلق بمحددات القوة الأمريكية واستخدامها ضد العراق والقيود التى واجهتها

القـــيد الأول: أحـــداث ١١ ســـبتمبر التـــي كانت فرصة للولايات المتحدة الأمريكـــية علـــى أن تقوم بنفسها لتجمع الدول على أنها القوة العظمى الوحيدة والتى لا يستغنى عنها العالم فى حربه ضد الإرهاب، فكان التحالف الدولى خلف

الولايـــات المـــتحدة الأمريكية مؤيداً على أن تكون أفغانستان بداية الحملة على الإرهـــاب، وجـــاءت نـــتائج الحرب فى أفغانستان محدودة لا تتناسب مع حجم الجهود العسكرية والدبلوماسية التى بذلت ولازالت تحت الدراسة، الساحة الثانية فهـــى الســـاحة الفلســـطينية حيث ساندت الولايات المتحدة بشكل مطلق الجهود الإســـرائيلية الهادفـــة إلـــى إرغام الفلسطينيين على قبول التسوية التى ترفضها وبالرغم من كل الإمكانات الأمريكية والإسرائيلية فى مقابل الإمكانات الفلسطينية الضعيفة فقد فشلت إسرائيل فى حملتها. وتعتبر العراق الحالة الثالثة التى فشلت فـــيها الجهود الدبلوماسية والاقتصادية فى تهيئة المناخ المناسب لاستخدام القوة العسكرية حيث إنها تضع استخدام قوتها العسكرية فى مقدمة الأزمة، فأصبحت قيداً على استخدام هذه القوة.

<u>القـــيد الـــثانى</u>، فشـــل الولايات المتحدة الأمريكية فى إقناع النظام العالمي بمـــبررات الحـــرب ضـــد العراق دون الإخلال بالقانون الدولى، وهذا ما جعل حلفاؤهـــا ومعارضـــوها يســـعون إلى عدم استخدام القوة العسكرية، وواجهت المعارضـــة من دولتين: فرنسا وألمانيا، وقد كان تأثير المعارضة قويا وشاملا بحيث تعدى حدود المسألة العراقية ليكون تحدياً للسلوك الأمريكى الإمبراطورى العـــالمى بدءا فى مفهومه أو فى أهدافه حيث أعلن أن هناك رغبة دولية فى أن الهدف إقامة نظام عالمى جديد متعدد القطبية، وعليه فالولايات المتحدة الأمريكية تواجـــه معارضـــة قويـــة تصل إلى أن يشارك فيها كل المعارضة لهذه الحملة الأمريكـــية من منطلق مناهضة للعولمة من خلال العمليات العسكرية المباشرة بدلاً من الهيمنة التكنولوجية والسيطرة التجارية والاقتصادية.

<u>القـــيد الثالث</u>: الذى واجه الولايات المتحدة هو الأمم المتحدة، وتجلى ذلك واضحاً فى أن المفتشين الدوليين جعلوا موقفهم السياسى واضحاً كما أن الموقف الأمـــنى أصبح واضحاً ومعارضا لاستخدام القوة لأنه ضد ميثاق الأمم المتحدة. وقد واجهت الولايات المتحدة الأمريكية موقفاً متشدداً يثبت أن مجلس الأمن ليس أداة طيعة خاضعة للولايات المتحدة الأمريكية وفقدت الولايات المتحدة الأمريكية

المســاندة الدولــية للمســألة العراقية وحرصت المعارضة الدولية على تحقيق مطالبها حتى لا تدخل فى صراع مع القوة العظمى الوحيدة.

القــيد الــرابع: هــناك نقطة هامة أخرى، فقد لاحظت الدول أن الولايات المــتحدة الأمريكية دخلت بقوتها فى أفغانستان وأباحت استخدام أحدث ما لديها من أسلحة لهذا سيكون التدخل مذبحة جديدة للشعب العراقى لا يبررها الأطماع الأمريكــية ولا المصــالح المشروعة، وأصبحت مصدر شك وقلق، كما تلاحظ أيضاً فى تحقيق المصالح الإسرائيلية أمراً قائماً مما يشعر الأمريكيين بالقلق من سياســة حكومــاتهم وبذا فإن المعارضة الأمريكية إنما تهدف إلى منع الحكومة الأمريكية من اتباع سياسة تضر مصالحهم.

من هنا نرى أن الحالة العراقية يجب أن ينظر إليها نظرة أوسع من مجرد أوضاع المنطقة، ليشمل تحليلنا مجمل السلوك الأمريكى وخطر تجاهله المكاسب الإنســانية وعلــى ضــوابط العلاقات الدولية (وقد ثبت أن خريطة العالم يسهل قــراءتها ولكــن يستحيل تغييرها سياسياً ومن رؤيا أمريكية لا تتفق مع الواقع وتــتجاهل الحقــائق، حيــث تسعى القوة العسكرية وحدها إلى اختصار قواعد العلاقات الدولية).

أولاً: القدرات العسكرية الأمريكية المنتشرة فى مسرح العمليات

أعلنــت الولايات المتحدة الأمريكية عن حشد قواتها استعدادًا للحرب ضد العــراق، وتأتى عملية الحشد والانتشار بصورة علنية على شاشات التليفزيون وعلى صفحات الجرائد والمجلات الأجنبية والعربية فى إطار أكبر حملة دعائية لاســتعراض القــوة وبمــا يمثله ذلك من تأثير نفسى على العراق وعلى الدول الأخــرى وخاصة ما تصفه الولايات المتحدة الأمريكية على أنها دول"مارقة"أو دول تساند الإرهاب، ولزيادة التأثير النفسى تعلن الولايات المتحدة الأمريكية عن تهديداتها إلى دول معينة عربية وغير عربية فتارة تهدد سوريا وتارة تهدد إيران وتارة أخرى تهدد السودان وليبيا، ثم تفتعل أزمة مع كوريا الشمالية وتعلن عن

قدراتها على شن حربين فى وقت واحد كما تعلن عن استخدامها أسلحة متطورة حديـــثة لم يسبق اشتراكها فى حرب سابقة. من هذا المنطلق يمكن القول إن هذه الحرب هي حرب غير متكافئة فى القوى فالعراق ظل فترة ١٣ عاماً يعانى من حصـــار دولى وحظر تسلح مع نقص شديد فى قطع الغيار، مع افتقاره للغطاء الجـــوى، فـــى الوقت الذى تشعر فيه الولايات المتحدة الأمريكية بغطرسة القوة وتعلـــن عن حلفائها وعن قوتها البرية والبحرية والجوية وتسرب سيناريوهات للحرب كلها تؤدى إلى هدف إظهار سلطوية فرض القوة المتفوقة على العراق، كمـــا تعلن الإدارة الأمريكية أنها اتخذت قراراً بإمكانية استخدام الأسلحة النووية إذا ما فكرت العراق في استخدام ما لديها من أسلحة كيماوية وبيولوجية، وحتى تـــتحقق شـــرعية الحـــرب فإنها تتهم العراق بامتلاكه لقدرات نووية وكيماوية وبيولوجـــية وتعلن أنها ستزيل أسلحة الدمار الشامل التى لدى العراق، دون أى إشـــارة إلـــى وجـــوب أن تخفض إسرائيل مما لديها من أسلحة دمار شامل، بل وتهـــدد باستخدامها، كما أن هناك تلميحات وإشارات إلى أن إسرائيل ستستخدم قواتهـــا فى هذه الحرب، وقد قدم العراق أخيرا الكثير من التنازلات مثل تدميره الصـــواريخ "صمود ٢" التكتيكية لكى يتفادى الذرائع الأمريكية التى تؤدي إلى اتخـــاذ قـــرار دولـــى بالموافقة على ضرب العراق، ولم تثن المعارضة الدولية الإدارة الأمريكـــية فـــى الخليج عن الحل العسكرى وإعطاء مهلة أطول لعملية التفتيش على الأسلحة العراقية.

ومن المشاهد أن القيادات العربية الخليجية فى منطقة الخليج قد قدمت تسهيلات عسكرية للقوات الأمريكية قبل أحداث ١١ سبتمبر، وأن الولايات المتحدة تزيد من تعزيزاتها بعد أحداث ١١ سبتمبر واستمرت عملية الانتشار قائمة مستمرة، (الملحق أ يوضح حجم الانتشار لمنطقة الخليج وما جاورها بما يظهر مخاطر أمنية). إن هذا الانتشار له دلالاته الواضحة من أن منطقة الشرق الأوسط قد تصبح مخزنا للسلاح الأمريكي ولا يستبعد أن يكون ضمنه أسلحة نووية، كما يوضح الملحق"ب"قدرات النقل الاستراتيجي الأمريكى إلى منطقة

الحرب. كما يوضح الخطة الزمنية لنقل المعدات، وملاحق أخرى لأبرز الأسلحة التى ستستخدم فى هذه الحرب، وتشير التقديرات الاستراتيجية إلى أن حجم القوات المشتركة فى الحرب ضد العراق سيصل إلى ٣٠٠ ألف جندى، وهذا الحجم لا يتناسب مع القدرات العراقية المحدودة، مع حصول هذه القوات على الكثير من التسهيلات من دول الخليج العربية بحيث تقل فترة استكمال الاستعداد العسكرى والإعداد لهذه الحرب.

كما عبر الخبراء الأمريكيون عن هواجس إزاء مجموعة واسعة من القضايا الدبلوماسية والقانونية والعسكرية، أهمها:

أن التبعات العسكرية لمواجهة جيش عراقي يتألف من حوالي ٤٠٠,٠٠٠ جندي أكبر من أن تخطئها التقديرات، فحتى على افتراض فرار معظم المجندين الإلزاميين العراقيين بمجرد ظهور أول علامات الغزو، كما فعلوا في حرب الخليج، فهذا أمر ليس مؤكداً حيث إنهم سوف يقاتلون فى وطنهم وإنه سوف يتبقى هناك ١٠٠,٠٠٠ من الحرس الجمهوري ينبغي مقاتلتهم، وبالإضافة إلى ذلك فان القتال على أرض العراق سوف يعني أن النظام الحالي لن يكون أمامه خيار سوى القتال حتى النهاية وهو شئ سيفعله على الأرجح ومن شأن مثل هذه المقاومة العنيدة أن ترفع الخسائر الأمريكية في الأرواح خاصة فى المناطق الحضرية.

وبصرف النظر عن مشروعيتها أو عن التأييد الدولى لها، فإن عملية عسكرية من هذا النوع تتطلب قوات برية ضخمة وقصفا جويا واسع النطاق ولكن القصف الجوى سوف يؤدي إلى قتل وجرح أعداد كبيرة من المدنيين الأبرياء وإلى تدمير البنية الأساسية المدنية وكلا الأمرين، إذا أردنا تسميتها بشكل صريح تشكل جرائم حرب كما أن مثل هذه الأعمال سوف يكون لها تأثيرات سلبية ضخمة على مستوى العالم عامة ومنطقة الشرق الأوسط والعالم العربي بشكل خاص.

في وقت ما في بداية شهر نوفمبر ٢٠٠٢، اعتمد الرئيس بوش خطة الحرب أعدها الجنرال تومي فرانكس، قائد القوات الأمريكية في الخليج، تم إعدادها تحت إشراف وزير الدفاع دونالد رامسفيلد، وعلى الرغم من اعتماد خطة الحرب، فإنها كانت تخضع لإشارة بدء من جانب الرئيس

تتألف الخطة من عدة أجزاء تقضي بالاستخدام التدريجي لقوات تتراوح بين ٢٠٠,٠٠٠ و ٢٥٠,٠٠٠ فرد رغم أنه كان من المتوقع استخدام ١٠٠,٠٠٠ فعليا في القتال، وشمل ذلك العديد من فرق الجيش والبحرية وحاملات للطائرات من الأسطول الخامس والسادس والسابع والعديد من أجنحة القوات الجوية وتتضمن الخطة أيضا قوات برية من المملكة المتحدة تقدر بعدة آلاف، بما فى ذلك الدعم الجوي، وقوات أخرى من حلفاء الناتو (حتى لو كانت رمزية)

تكوين قوة عسكرية أمريكية ليس أمراً معقداً أو صعباً كما كان من قبل فى حرب الخليج الثانية وهناك بالفعل معدات موضوعة مسبقا في مواقعها في المملكة العربية السعودية والكويت والبحرين وتركيا منذ حرب الخليج في عام ١٩٩٠-١٩٩١، كما أن تخزين المعدات الاحتياطية تم بشكل متزايد منذ سبتمبر ٢٠٠٢ بما في ذلك معدات عسكرية وأسلحة، تموينات طبية، ووقود، وتموينات غذائية. كما أن القوات المتمركزة مسبقا في وحول تلك الدول تقدر بـ ٥٠٠٠ في الكويت، ٥٠٠٠ في السعودية، ٣٠٠٠ في قطر من أفراد الجيش والبحرية، والقوات الجوية في البحرين وفي البحر وفي الخليج العربي وما يقدر بـ ١٥,٠٠٠ من القوات في تركيا (قوات العمليات الخاصة وأفراد القوات الجوية) وقدرت مجموع القوات الأمريكية المتمركزة في شهر نوفمبر ٢٠٠٢ بما يتراوح بين ٥٠,٠٠٠ و ٦٠,٠٠٠.

إن المعلومات التي تسربت عن الخطة الأمريكية للهجوم على العراق أفادت بأن الحملة الجوية ستكون لمدة تقل عن شهر (الحملة الجوية في حرب الخليج استمرت ٣٧ يوما) وخلافا لحرب الخليج والتي كان ٩% فقط من الصواريخ والقنابل فيها ذكية نصت الخطط الحالية باستخدام"أسلحة ذكية"بنسبة ٦٠%

وضمن ذلك استخدام طائرات البحرية والقوات الجوية، وقاذفات قنابل بي ١ (كل منها تحمل نفس الأسلحة) وقد تم تحديد الأهداف فعلاً على أساس صور التقطت بالأقمار الصناعية تشمل المقار العسكرية ومواقع الدفاع الجوي والقيادة والمراقبة وأهداف استراتيجية أخرى مثل المرافق الكهربائية والكباري ومنشآت أخرى حيوية لحياة المدنيين، وكان من المتوقع أن يؤدي القصف الأكثر كفاءة من خلال استخدام نسبة أعلى من الأسلحة الموجهة بدقة إلى خفض العدد الإجمالي للطائرات اللازمة وسوف تتم العملية الجوية في المقام الأول من قواعد جوية أنشئت حديثا منها قاعدة العديد بالقرب من العاصمة الدوحة وكذلك من حاملات طائرات في الخليج العربي تستخدم البحرين كقاعدة.

كما كان من المخطط استمرار القصف الجوي حتى يتم تدمير الأهداف الاستراتيجية والتكتيكية، ولكن لا يؤثر على الجدول الزمني للعمليات الأرضية الذي يبدأ بعضها خلال الأيام الأولى من بدء الهجمات الجوية، أو حتى بالتزامن مع بدء العمليات الجوية واستيلاء القوات المظلية وقوات العمليات الخاصة على المطارات الغربية، وحقول النفط، والعمل داخل العراق لقطع الاتصالات وتحقيق أهداف تكتيكية أخرى.

ومن الصعوبات التي واجهت الأعداء عدم تمكن القوات الأرضية من استخدام بعض أراضي دول الجوار الجغرافي للعراق. فلم تستخدم أراضي المملكة العربية السعودية والأردن المجاورين على الرغم من أن إمكانية الضغط على هاتين الدولتين لتغيير موقفهما مفترضة من قبل الإدارة، ولأن هاتين الدولتين كانتا هامتين لاستخدام القوات البرية طبقا للخطط العسكرية التي اعتمدها الرئيس في نوفمبر ٢٠٠٢ لأن تعاون البحرين وقطر والكويت مضمون رغم تعبير الحكومة التركية الجديدة المنتخبة في نوفمبر عن تحفظات. ورفض البرلمان التركي السماح باستخدام القوات الأمريكية القواعد العسكرية التركية ولكن سمح باستخدام الأجواء التركية لعبور الطائرات ثم العبور المحدود إلى الأراضي العراقية لأغراض إدارية وطبية.

تستخدم الكويت كمنطقة تمركز ودعم للقوات البرية، قوات العمليات الخاصة والقوات البرية الأخرى وكذلك القوات الخاصة التى ستعمل في منطقة كردستان العراقية إذا استمر رفض تركيا، حيث إن مثل هذه القوات البرية المحدودة سوف تستخدم على الأرجح كدعم فقط للقوات الكردية في الشمال والتي من المتوقع أن تهاجم القوات العراقية ولكن الأهم من ذلك استخدام قوات العمليات الخاصة في المنطقة الشمالية في مهام تغلغل عميق متسللة في الأراضي الواقعة تحت سيطرة النظام العراقي لجمع معلومات استخبارية وتوجيه الحرب الجوية وقطع الاتصالات وتعزيز التحكم في حقول النفط في المنطقة الشمالية، إضافة إلى مهام أخرى، ويعتقد بأن قوات العمليات الخاصة موجودة بالفعل في تلك المنطقة.

واعتبارا من شهر سبتمبر، تم تحديد حجم القوات الاحتياطية فيما له علاقة بمهام الحكومة المدنية في العراق المحتل، وتشير التقارير إلى تعبئة بعض هذه القوات في شهر نوفمبر كما تشير التقديرات إلى استدعاء ١٠٠,٠٠٠ من القوات الاحتياطية على أساس تطوعي للخدمة في الجيش والقوات الجوية والبحرية وقوات المارينز واحتياطي حرس الحدود الذين من المتوقع إيفادهم إلى العراق في مهام متخصصة، خاصة الشئون المدنية (الحكومة المدنية، قائد الشرطة العسكرية، ممثل النيابة العامة)، أما مجمل الاحتياطيين وأفراد الحرس الوطني، فقد خطط لاستخدامهم في الولايات المتحدة الأمريكية.

بل إن بعض التقارير أشارت إلى وجود قوات عمليات خاصة في جنوب العراق بدعم من الشيعة المحليين المعارضين لنظام صدام تعمل بنفس الكيفية في المنطقة الجنوبية وللحصول على معلومات استخبارية وتقدير الأهداف وتوفير شبكة اتصالات لتوجيه العمليات الجوية.

كان من المتوقع زيادة قوات العمليات الخاصة التي سوف تؤدي مهام استخبارية ومهام التوغل العميق بعد أن تبدأ العمليات رسمياً ويعتبر ذلك أول حملة أمريكية تتضمن مثل هذا الاعتماد الاستراتيجي والتكتيكي الثقيل على قوات

العمليات الخاصة كجزء أساسي من العملية الشاملة وكان من المخطط إنزال القوات البرية برمائية ومن خلال الإسقاط الجوي في المناطق الجنوبية الشرقية من العراق (الفاو وأم القصر)، ومن ناحية الشمال، كان المفروض قدوم قوات العمليات الخاصة وعناصر من الفرقة العاشرة الجبلية وفرقة"رنجرز"عبر تركيا لدعم الأكراد العراقيين المقدر عددهم بحوالي ٤٠,٠٠٠ في إقليم كردستان العراقي، ولكن ذلك لم يتم. واعتمدت الخطة على الاستخدام المكثف لقوات الملشيات الخاصة التي تتألف من دلتا، وسيل، وفرق الباريه الأخضر "رنجرز" فرق نايت ستالكرز هيلو، وكوماندوز القوات الجوية، وتعد هذه الفرق من بين الأفضل في العالم وتم اختبار تدريبها وكفاءتها القتالية في أفغانستان، وقبل ذلك في حرب الخليج وبنما.

وتم التركيز الأساسي في الحرب البرية على تجنب التورط في القتال داخل المدن من مربع سكني إلى آخر وذلك بهدف ضغط الدفاعات العراقية إلى جيوب معينة لإعطاء القادة العسكريين العراقيين الفرصة للانسحاب من القتال والإقلال من مقاومتهم، وضمان عدم استخدامهم لأسلحة كيماوية وبيولوجية، ويتمثل البعد السياسي لهذا المنهج في إعطاء العسكريين العراقيين وقتا محدودا للحد من المقاومة من خلال تثبيط عمليات ثأرية محتملة قد تؤدي إلى وقوع خسائر جسيمة بين صفوف العسكريين والمدنيين، ويتمثل جزء آخر من هذه الاستراتيجية في إعطاء قوات الحرس الجمهوري الفرصة للتخلي عن القتال والانقلاب على صدام وعلى القوات التي لا تزال على ولائها له. ويصف البنتاجون هذا النهج الاستراتيجي بالنهج الانقلابي للسماح للقوات الأرضية بالمناورة السريعة لمحاصرة وتحييد والقضاء على جيوب المقاومة بحد أدنى من الخسائر.

بنيت الاستراتيجية العسكرية للولايات المتحدة على تحقيق نصر عسكرى مبدئي من حيث إنه من غير المتوقع أن تتمكن القوات العراقية من التصدي بدفاع قوى ضد هذا الهجوم الأرضي المزدوج في الجنوب والشمال فإذا نجح

ذلـــك، وكان من المتوقع أيضا ظهور سلسلة من ردود الأفعال الداخلية التي قد تـــؤدي طـــبقا لسيناريو الحالة الأفضل، إلى قصر العمليات التي سوف تتم في المـــناطق المدنـــية في المرحلة الثانية على ما لا يزيد على أسبوع واحد ويستند ذلـــك إلى توقع هروب العسكريين والأمل في انقلاب بعض الوحدات العسكرية العراقـــية على صدام والقوات الموالية له، خاصة الحرس الجمهوري والتي تم سحبها ونشرها في بغداد وحولها مع أربع فرق في وحول مدينة تكريت -مسقط رأس صـــدام-. كما خططت الولايات المتحدة أيضا لحملة عمليات سيكولوجية قوية موجهة نحو العسكريين العراقيين والسكان المدنيين، تشير التوقعات إلى أن هذه الحملة المذكورة حققت نتائج مهمة حدت من احتمالات القتال الثقيل ومن ثم مستوى الخسائر وتدمير البنية الأساسية المدنية وتخلى بعض الجنود والوحدات عن القتال والتسليم.

اشـــتملت إحدى خطط الحرب المرتبطة بالإعلام التحكم في وصول وسائل الإعلام إلى مناطق القتال في العراق، فالإعلام لم يسمح له بالوصول إلى مواقع تدمير البنية الأساسية المدنية، ولا إلى المناطق التي يمكن فيها رؤية خسائر في الأرواح بيـــن المدنييـــن وقد استمر ذلك لتجنب احتمالات إثارة الرأي العام ضد الولايـــات المـــتحدة، وقـــد طبقـــت وزارة الدفاع هذه السياسة بشكل فعال على أفغانســـتان، وقيل ذلك على بنما وكان ذلك بطبيعة الحال أكبر درس تعلمته في حـــرب فيتـــنام، ويبدو أن حرية الصحافة والتي ضمنها أول تعديل في الدستور الأمريكـــي أصبحت واقعيا خاضعة للرقابة العسكرية والتعتيم الإعلامي ووصل هـــذا الخطـــر والمنع لوسائل الإعلام عن تغطية بعض العمليات لدرجة ضرب مقاراتهم بالدبابات ووقع ذلك أثناء الهجوم البرى على بغداد.

وكـــان من المتوقع أن يسير القتال بشكل يؤدي إلى سرعة احتلال العراق. لأن حدوث ذلك يؤدى إلى أن تكون ردود الفعل المتوقعة في أنحاء العالم العربي والإسلامي محدودة، وكذلك التهديد المستمر للإرهاب في حين ليس في قدرة أحد التـــنبؤ بـــالأحداث التي سوف تقع إذا طالت هذه الحملة العسكرية، ولكن يصبح

شـــيئاً واحداً مؤكداً وهو أن خطط الولايات المتحدة كانت تفصيلية ودقيقة وتأخذ فـــي الاعتبار مجموعة من الاحتمالات التي تتوفر لها ردود أفعال حاضرة أمثلة ذلـــك التخطـــيط لوضع برنامج تمت محاكاته على استعدادات وتدريب القوات الأرضـــية، ولذلـــك كـــان من غير المحتمل أن تتمكن القوات العراقية الموالية الإتيان بمفاجآت رئيسية للقوات الأمريكية المهاجمة وساعد على ذلك نظم القيادة والســـيطرة المتقدمة جدا خاصة فى الحصول على المعلومات الدقيقة وتوصيلها فـــى الوقت الحقيقي لحدوثها وسرعة تحليلها الشيء الذى ساعد فى سرعة اتخاذ القرار.

أما من ناحية احتمال استخدام العراق لأسلحة التدمير الشامل فلم يعرف أحد ما لدى العراق من أسلحة كيماوية وبيولوجية ولا عدد صواريخ السكود النشطة وما إذا كان يمكن أن تحمل رؤوسا حربية كيماوية أو بيولوجية وقد أطلقت هذه الصـــواريخ على إسرائيل والمملكة العربية السعودية أثناء حرب الخليج في عام ١٩٩١ وكان من الممكن استخدامها ضد القوات الأمريكية إذا توفرت، وخاصة أن النظام سوف يكون بصدد خوض المعركة الأخيرة وأكد الأمريكان على ذلك خاصة وأن أهم أسباب الإعداد لهذه الحرب هو تدمير هذه الأسلحة ولكن وحتى الآن لم يكتشف وجود أى أسلحة من هذا النوع.

وظلت فكرة استخدام الأسلحة الكيماوية والبيولوجية من العراقيين أحد ثلاثة أمـــور غير قابلة للتكهن، أما الأمر الثاني هو هل سيستخدم العراق ما تبقى من صواريخ سكود المخبأة ضد إسرائيل؟ وما إذا كانت هذه الصواريخ تحمل أسلحة كـــيماوية أو بيولوجـــية، ولكن بما أن إسرائيل لديها دفاعات صواريخ باتريوت وصواريخ آرو المضادة للصواريخ، فإن الهجوم بصواريخ سكود لن ينجح على الأرجح، أما الأمر الثالث فهو ما إذا كانت قوات العمليات الخاصة سوف تنجح في التحكم في حقول النفط الرئيسية والمنتجة قبل أن تفجرها القوات العراقية وقد نجحت في ذلك وبقيت حقول النفط منتجة ولم تتحقق الآثار الاقتصادية المترتبة على تفجيرها.

وخلاصة القول أنه كان هناك سيناريو لأفضل وأسوأ حالة ولو أن الإدارة الأمريكية تتوقع أن الأفضل هو الذى سوف يتحقق وأن العمليات العسكرية سوف تستمر بين أسبوع وثلاثة أسابيع، محدثة خسائر محدودة في الأرواح بين الأمريكيين والعراقيين، وتداعيات سلبية محدودة في العالمين العربي والإسلامي وقد تحقق هذا السيناريو عدا نسبة أكبر في الخسائر البشرية المدنية العراقية علاوة على هدم جزء من البنية الأساسية للعراق.

استخدام أسلحة وتكنولوجيا جديدة

لقد أظهرت حرب الخليج الثانية أن ظهور أسلحة جديدة بتكنولوجيات جديدة أصبح يعني قدرات وتكتيكات جديدة في ميدان المعركة، وأن دور التكنولوجيا هو توثيق العلاقات بين القدرات النيرانية للسلاح والقدرة على المناورة بالقوات أى الجمع بين حركة النيران وحركة القوات، وتنطلق سرعة القوات بناء على معرفة ورؤيا واضحة تفصيلية عن أوضاع الخصم، فالمعرفة الحقيقية بتفاصيل المسرح توجه حركة القوات نحو أهدافها لتدمر بقوة النيران مع سرعة الوصول إلى الهدف. إن القدرة العالية على الحركة توجهها وتنجحها المعرفة التفصيلية للمسرح وأماكن الأهداف التى يجب تدميرها بحيث توجه إليها النيران بسرعة وبدقة بما سيحقق سيطرة على كل بقعة من المسرح.

وبناء على الخصائص الجديدة للمعركة الحديثة فإن عملية غزو العراق اعتمدت على السرعة الخاطفة وباشتراك سلاح الجو وسلاح البر مع بداية العمليات الهجومية، وكانت هناك أسلحة جديدة تحت الاختبار منها القنابل العنقودية والصواريخ الشبح وقنابل الميكروويف والقنابل الصوتية بحيث يتحقق مزيج من القصف الجوى المركز والكثيف الهجمات ومن البرية بأسلحة متطورة، وأن الكثافة النيرانية فى الساعات الأولى من الهجوم الخاطف حققت إجهاض أي خطة محتملة عراقية قد تعتمد على أسلحة كيماوية وبيولوجية كما أن القصف الجوى المركز قد منع القوات البرية العراقية من التحرك والوصول

إلـــى أهـــداف لحمايـــتها، ويكون القتال البرى بواسطة مشاة البحرية الأمريكية بالـــتعاون الكـــامل والمستمر مع مجموعات الإبرار الجوى من القوات الخاصة المـــنقولة جـــواً مع سرعة تقدم القوات المدرعة إلى أهداف عراقية ذات كثافة سكانية.

وقـــد كانت باكورة استخدام أسلحة الجو الحديثة تحليق طائرات الاستطلاع الأمريكـــية طـــراز يو – ٢ فوق العراق بحجة تدعيم قدرات البحث عن أسلحة الـــدمـــار الشـــامل، وكانت عمليات المسح تتم أثناء قيام جماعات التفتيش بعملهم المعـــتاد، بيـــنما تـــتحرك طائرات أمريكية وبريطانية تقصف مواقع الرادارات العراقـــية باســـتخدام أســـلحة موجهة عن بعد وذلك عندما تتحرك وحدة رادار عراقـــية مـــن موقعها إلى موقع آخر فى المنطقة المحظورة حتى لا يشكل هذا الموقـــع تهديداً لتحليق طائرات الاستطلاع الجوى الأمريكى أثناء الهجوم على العراق.

وبالنســـبة إلى استخدام أسلحة جديدة لم تستخدم من قبل فإن استخدام قنابل خارقـــة حارقـــة لتدمير الأسلحة المحظورة، وذلك بقصف مستودعات الأسلحة الكـــيماوية والبيولوجـــية حيـــث تقوم القذائف بحرق المكونات المحظورة داخل القذائـــف ورؤوس الصواريخ دون أن تسمح بتسرب الجمرة القاتلة إلى الخارج، أمـــا الصواريخ والقنابل (GDIM) فهي تولد موجات كهرومغناطيسية وتستخدم لتدمير شبكات الاتصالات الإلكترونية وكابلات الألياف الصناعية وجميع أجهزة الكمبـــيوتر وبالتالـــي تكون قادرة لشل مراكز القيادة والسيطرة ووسائل الدفاع الجوى ووسائل الاتصال أيضا.

كمـــا تـــم استخدام الصواريخ الشبح وهو نوع جديد من أسلحة الجو يتعذر رصـــده رادارياً ويتم توجيهه نحو أهداف الخصم من خلال الأقمار الصناعية ومـــداه يصـــل إلـــي ٣٢٠ كـــيلو متر ويمكن أن يصيب الهدف بدقة. ويجهز الصـــاروخ بجهاز تعقب حرارى لتمييز الأهداف التى تم التقاط صورها فى ذاكرة إلكترونية،كما تم تطوير الصواريخ بعيدة المدى كروز توماهوك التى استخدمت

فى حرب الخليج ليصل مداها إلى ١٦٠٠ كم مع زيادة دقتها. وقد تم تزويد فرق مشـــاة البحرية الأمريكية بأجهزة من سلاح "عين التنين" وهو عبارة عن طائرة صـــغيرة بـــدون طـــيار بحجم طائر جارح متوسط الجسم ويلتقط صورا ويبثها لاسلكياً إلى أفراد الوحدة على أجهزة كمبيوتر محمولة حيث يمكن رؤية أهداف الخصـــم خلف الجبال والوديان العميقة وبما يمكّن تحديد موقعها وقصفها بدقة، وقد تم لسلاح المشاة البحرية الأمريكية تطوير إنسان آلى مقاتل يمكن دفعه من أحـــد نوافـــذ المـــبانى لينطلق إلى الداخل ويقوم بتصوير الأهداف داخل المدن ورصـــد أى قوات معادية ويمكن تزويده بالسلاح الذى يستطيع أن يقتل الأفراد، وتوجد أيضاً القنابل العنقودية التى تزود بها الطائرات حيث تنتشر على مساحة كبـــيرة ممـــا يـــزيد مـــن الخسائر البشرية، وهناك نوع جديد من قنابل الدشم الحصينة، (أم القنابل) وتزن حوالى ١٠ طن وهى قادرة على اختراق الخرسانة المســـلحة ذات الســـمك الكبـــير لتنفجر بالداخل وتدمر أى أسلحة وهى مجهزة بأجهزة توجيه دقيقة وهى تقذف من ارتفاعات عالية.

أضف إلى ذلك التكنولوجيا المتفوقة المستخدمة فى أجهزة القيادة والسيطرة والمعلومات باستخدام الكمبيوتر.

وهكذا لعبت التكنولوجيا دوراً إيجابياً فى توفير قدرات تدميرية واستطلاعية جديـــدة تحقق التفوق على الخصم، مع القدرة على شل عمليات القوات العراقية قبل تدميرها.

ثانياً: الإعداد العسكري العراقي

ظلت القدرات العسكرية العراقية الحالية مثار تساؤلات حول ما لدى هذه القـــوات من قدرات دفاعية تواجه احتمالات توجيه ضربة عسكرية أمريكية في إطار تحالف دولي حيث إن العراق يعاني من حالة حصار وعزلة إقليمية ودولية وحظـــر دولي مفروض على العراق بموجب قرارات مجلس الأمن وقرار دول التحالف (الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا) منذ يوليو ١٩٩١.

كذلك فرضت عليه مناطق حظر جوي في الشمال والجنوب حيث تحلق الطائرات المقاتلة الأمريكية والبريطانية في سمائه وتقوم بطلعات استطلاعية ودوريات جوية وعندما تتعرض لنيران الدفاع الجوى العراقي فإنها تقوم بقصف هذه المواقع وتدميرها، وقد تقوم بضربات جوية محددة في إطار العمليات المتدنية التي لا ترقى إلى حالة الحرب وقد زاد نشاطها أخيراً لإضعاف قدرات الدفاع الجوي العراقي تدريجيا دون إثارة الانتباه. ولا شك أن العراق حاول بكل جهده أن يحافظ على ما لديه من أسلحة، ولاقى الصعوبات في الحصول عليها وعلى قطع الغيار اللازمة مع الحظر الكلي على استيراد وعقد أي صفقات تسليح بجانب اتهامه بأنه يخفي أسلحة دمار شامل بالرغم من لجان تفتيش تتحرك وتفتش وترفع تقاريرها، بالرغم من أن التقرير العراقي الذي قدم للأمم المتحدة ينفي وجود هذه الأسلحة على أرضه ولكن أظهرت الولايات المتحدة وبريطانيا قلقهما في أن التقرير لا يجيب على نقاط معينة لازال يشملها الغموض، والحشود الأمريكية تتزايد في القواعد العسكرية الخليجية وتركيا والأردن وإسرائيل ودول البحر الأحمر وتحركت حاملات الطائرات لتقترب من منطقة الخليج للمشاركة في أي ضربة عسكرية، وسط هذا الجو المليء بالتوتر والتلويح باتخاذ القرار باستخدام القوات العسكرية تارة أخرى تظهر تصريحات يعتقد أنها من قبل الخداع تقضي أن الضربة العسكرية ستكون الخطيرة والأخيرة بعد استنفاد كل الوسائل المتاحة سلميا. وهناك حالة من المد والجذر، فالولايات المتحدة الأمريكية تبذل جهودها الدبلوماسية والإعلامية لجذب دول نحو التحالف الدولي وقبول توجيه الضربة العسكرية بينما المعارضة الدولية تحاول وقف احتمال التدخل العسكري. وكانت هناك موجة من الاعتراضات لا شك أنها أضعفت وأثرت على القرار بتوجيه ضربة عسكرية بالرغم من محاولات التمويه بإعلان توقيتات محتملة قريبة وبعيدة، وهناك خطوات سابقة من المفروض اتباعها مثل دراسة التقرير العراقى عما لديه من أسلحة دمار شامل وفى حالة اكتشاف أى تضليل فى المعلومات فسيكون العقاب الأمريكي أمرا أكثر احتمالا، علاوة على خطوة أخرى وهي استجواب العلماء العراقيين خارج

العراق وفقا للقرار الدولى حتى يمكن التأكد من صحة التقرير العراقي ومعرفة مـــدى مـــا وصلت إليه الأبحاث العراقية من تقدم في امتلاك أسلحة دمار شامل وتصـــنيعها فى العراق وغير ذلك من الشروط المعجزة للجانب العراقي ووسط الغيوم التى تحيط بمناخ الأزمة، مما يستدعي تقديم شرح وتحليل علمي يوضح مدى فاعلية القدرات العسكرية الحالية التى فى يد العراق.

العوامل المؤثرة على فاعلية القدرات العسكرية العراقية المتاحة:

أ- لـــم يكـــن باســـتطاعة العـــراق كسر حظر التسلح المفروض عليه دوليا والحصـــول علـــى أي أسلحة أومعدات وذخائر، وأن ما لديه يحتاج إلى صـــيانة وتطويـــر وإمداد مستمر بقطع الغيار للحفاظ على كفاءة الأسلحة وصلاحيتها للخدمة، ولم يمكن للعراق أن يحدثها لرفع قدراتها التي لم تعد مناسبة في مواجهة الأسلحة المتطورة الحديثة التي لدى القوات الأمريكية وقوات التحالف، كما أن حظر التسليح على العراق يقابله سباق تسلح لرفع القـــدرات العســـكرية الخليجية لتحقيق التفوق الأكبر في المقارنة العددية والنوعية وكفاءة المعدات، مع إمكانية استعواض الخسائر، وتصبح الحقيقة المؤكدة أن التوازن العسكري في منطقة الخليج ليس في صالح العراق مع وجـــود الحشـــود العســـكرية الأمريكية ودول التحالف. وعليه فإن العمل العســـكري الأمريكي والدولي لن يقابل بمقاومة لها ثقلها وتأثيرها القوى على الصراع المسلح ومن ثم فإن العمل العسكري سيفرض على العراق فـــي ظـــروف غير ملائمة. لهذا فالعراق كان يحاول أن يتفادى الصدام المســـلح قـــدر استطاعته واستخدام وسائل وتكتيكات أخرى لتعوضه هذا الـــتفاوت الكبـــير فـــي القوى كما أن هناك عوامل لها تأثيرها على مدى فاعلية القوات العسكرية العراقية والانهيار الاقتصادي للعراق.

ب- فـــي نفس الوقت تعرضت قدرات القوات العسكرية العراقية إلى التقلص التدريجي نتيجة توجيه الضربات المتكررة لدول التحالف الدولي مما يزيد من خلل التوازن العسكري لغير صالح العراق

جـــ لا شـــك أن المعارضة العراقية بالخارج المتربصة بالنظام العراقي أدت إلـــى أن تتـــبوأ قضية أمن النظام العراقي أولوية وانعكست بالسلب على القـــدرات العســـكرية العراقية وفرضت قيوداً شديدة على تداول الأسلحة والذخائـــر واختيار القادة الموثوق في ولائهم على حساب الكفاءة مما أثر على معنويات القوات، ولقد امتد ذلك إلى القطاع المدني في تبوأ المناصب الرئيسية في الدولة لفئة تنتمي إلى الولاء للنظام دون مبالاة بالكفاءات مع التوسع في أعمال القمع والاعتقال لمجرد الشبهات في الولاء للنظام. وقد أدى هـــذا إلـــى هروب الكفاءات إلى الخارج وانضمامها إلى المعارضة وبذلـــك فقـــدت العـــراق الكفـــاءات اللازمة للتطوير والإصلاح وإدخال تكنولوجيا في كافة القطاعات بما أثر على الأداء الوظيفي.

د- لقـــد انعكس الوضع الأمني ومزاولة أعمال القهر والإجراءات الصارمة الـــتى تؤثـــر علـــى السماح للقوات بالتدريب والقيود عليه مما أثر على مستوى الكفاءة، مع التشدد في السماح بالطلعات الجوية للتدريب خوفا من حدوث انقلابات وأيضا مع البحرية التي فرض عليها نوعا من الحصار لا يمكنها من تأدية مهامها، وأصبح التقسيم الأيديولوجي في القوات المسلحة شـــديد التأثير على تنظيم القوات المسلحة والتي شكلت تنظيميا في ثلاثة نوعيات وثلاثة مستويات: قوات الحرس الجمهورى الخاص وقوات حرس جمهورى والتشكيلات الميدانية، وتولى القيادات العسكرية شخصيات تدين بـــالولاء الكـــامل للنظام مما ولد كراهية وحقداً له انعكاساته على الكفاءة والـــولاء وروح الـــتعاون وقـــد ظهر هذا جليا فى حرب الخليج الثانية، فالتشـــكيلات الميدانية وضعت على خط الجبهة، ولم تلق الرعاية الكافية من تأمين وإعاشة وانهارت معنوياتهم مما أدى إلى استسلامها بمجرد بدء

الحملـــة الـــبرية دون إبداء أية مقاومة تذكر، بينما احتفظت القيادة بقوات الحـــرس الجمهورى التى سرعان ما انتظمت فى الخطوط الخلفية لحفظ وتأمين النظام. وبعد الحرب أعيد تشكيلها وظلت محل رعاية النظام.

هـــ- أدى الإنفـــاق العســـكرى المرتفع مع محدودية الميزانية العامة للدولة إلى وجـــود أعباء على الاقتصاد القومى العراقي، وأدى إلى مشاكل فى البنية الأساســـية للدولـــة واحتياجات الشعب العراقي الذى يعانى من إجراءات عـــزلة العراق وحصارها. حيث أصبح الإنفاق العسكرى موجها لمطالب تحقـــيق الأمن وليس من أجل تطوير القوات المسلحة وعليه فإن الإنفاق العسكرى العراقى يوضح المعدلات الآتية (٢):

- نصيب الفرد العراقي من الإنفاق العسكرى السنوى حولى ٥٦,١٧ دولار فى المقـــابل فـــإن العـــائد على الفرد فى القوات المسلحة فى الإنفاق العسكرى حوالى ٢٠٠٠ دولار.

- وبالمقارنة مع الإنفاق العسكرى للدول العربية يكون إجمالي الإنفاق العسكرى العراقى نسبته ٣%.

- وما يعادل نسبة ٧,٠٦% من إجمالى الإنفاق العسكرى السعودى.

- وما يعادل نسبة ١٥,٨% من إجمالى الإنفاق العسكرى التركى.

- وما يعادل ٢٢,٤% من إجمالي الإنفاق العسكرى الإيرانى.

وتشـــير التقديرات الأمريكية إلى أن العراق يحتاج إلى ٢٠ مليار دولار لإعادة البنية العسكرية لقواته عند رفع الحظر عن العراق. وأن احتياجات الأفرع الرئيســـية للقـــوات المســـلحة العراقية لتحديث قدراتها ما لا يقل عن ١٠ مليارات دولار لاستعادة الكفاءة.(٣)

و- وكانت مصادر التسلح للقوات العراقية قد اعتمدت على التنوع ولهذا حصلت القـوات المسلحة العراقية قبل حرب الخليج الثانية على صفقات تسلح من الدول الآتية (٤)

- الاتحـاد السـوفيتى: دبابات - طائرات - مدفعيات - صواريخ - ذخائر - قطع بحرية.

- الصين: دبابات - طائرات - قطع مدفعية - حاملات صواريخ - ذخائر لتلك الأسلحة.

- دول أوروبا الشرقية: معدات هندسية - أسلحة خفيفة - معدات إشارة - قطع غـيار - أجـزاء لممرات الطائرات - الذخائر وذلك من بولندا ورومانيا وتشيكوسلوفاكيا وألمانيا الشرقية ويوغوسلافيا

- الدول الغربية:

فرنسا: طائرات - معدات إلكترونية - مدفعية - ذخائر - صواريخ.

إيطاليا: قطع بحرية - معدات إلكترونية - معدات هندسية.

ألمانيا: قطع غيار - معدات هندسية - عربات - مواد كيماوية.

- دول أمريكا اللاتينية:

البرازيل: صواريخ أرض / أرض - عربات مدرعة - تعاون نووى.

شيلى: قنابل طائرات.

الأرجنتين: تعاون فى مجال الصواريخ.

-دول عربية: ذخائر - مدافع - معدات إشارة.

ولكـن مـا كـان لـدى العراق من هذا كله عند الهجوم عليه سوى بقايا الصفقات التى عقدت مع هذه الدول فى فترة الثمانينات، وقد خاضت العراق بها حربين: الأولى مع إيران والثانية ضد التحالف الدولى فى حرب الخليج الثانية.

وحتى ما تبقى فالحظر لم يتح رفع قدراتها وصيانتها أو تحديثها، زاد من ضغط هذه القوات ممارسة رئيس الجمهورية بحكم أنه القائد العام وقائد الجيش الشعبى مسئولياته فى القيادة المباشرة لضمان ولاء القوات، بالرغم من جهله بالقطع بتفاصيل النواحى الفنية والقتالية. علاوة على أن اهتمامه المركز انصب على مسائل أمنية دون اهتمام بالأمور العملياتية.

القدرات العسكرية العراقية قبل الحرب:

يوضح (الملحق رقم ٣) جدولا بما كان لدى القوات العراقية قبل عاصفة الصحراء وما آلت إليه القدرات عام ٢٠٠٣ (٥) (مع مراعاة أن الموقف الحالي لا يحدد بدقة نسبة الصلاحية لهذه الأسلحة والمعدات).

ويتضح من ذلك

*انخفاض أعداد القوات المسلحة العاملة مع زيادة فى قوات الاحتياط.

*انخفاض أعداد القوات البرية العراقية وإنقاص فيلق فى التنظيم، مع انخفاض فى عدد الفرق إلى ٢٤ فرقة، وانخفاض عدد الدبابات إلى ٢٢٠٠ دبابة منها ٧٠٠ دبابة حديثة (بنسبة ٣١,٨%) والباقى طرازات قديمة، وانخفاض فى أعداد المركبات ٢٩,٠٠٠ مركبة مدرعة فقط وانخفاض فى قطع المدفعية فيصبح ١٩٥٠ قطعة، وانخفضت أعداد القواذف الصاروخية إلى ١٥٠ قطعة (١٠٧ مم – ١٣٢ مم – ٢٦٢ مم (أبابيل). الهاونات أعيرة (٨١ مم – ١٢٠ مم –١٦٠ مم – ٢٤٠ مم) – الصواريخ أرض / أرض طراز سكود بى. وقد شمل التنظيم الحالى للقوات البرية أعدادا من قواذف الصواريخ المضادة للدبابات–SS ٣Sagger–A ١٧ ميلان، هوت بعضها مركب على عربات مدرعة وبعضها على طائرات هليكوبتر. أما القواذف المضادة للدبابات فأعيرتها ٧٢مم، ٨٢مم، ١٠٧ مم المجرور منها أعيرة ٨٥مم، ١٠٠مم مجرورة. وتجدر الإشارة إلى قوات الجيش المسلح بطائرات هجومية أنواع ١٠٢–BO مسلحة بالصواريخ , ١٢–AS ٣٢١ SA ونوعيات طائرات النقل والمواصلات من طراز Hughes ٣٠٠, Bell

٦-AS-H1 , ٢١٢ لإدارة النيران، BK-١١٧,SA٣٣٠ وهناك لازال تنويع فى مصادر التسليح للقوات العربية ولكن كفاءتها محدودة.

القوات الجوية العراقية:

أما المقاتلات القاذفة من طراز Mig٢٣BN (روسية الصنع) ميراج (فرنسية الصنع) ٢٥-SU-٧١,٢٠/- (روسية الصنع) المقاتلات من طراز R-O صيني، ميج ٢٩/٢٥/٢٣/٢١ (روسية الصنع) وميراج ف-١ (فرنسية). بالإضافة إلى عدد من طائرات الاستطلاع طراز ميج ٢٥ (روسية الصنع) طائرات حرب إلكترونية اليوشن ٧٦ روسية الصنع طائرات تزويد بالوقود اليوشن ٧٦ (روسية الصنع) طائرات النقل طراز انترتينوف واليوشن (روسية الصنع) تحتفظ العراق بأعداد من طائرات التدريب طراز ميراج ف-١ (فرنسية) PC-٤/٩ صينية، توكانو غربية ٤-٢٩-٣٨ غربية.

لدى القوات الجوية العراقية طائرات بدون طيار تصنيع عراقي / إيطالى / روسى مشترك. وتشير التقديرات إلى أن لدى القوات العراقية ذخائر بنسبة ٥٠% فأقل. والمعروف أن لديه ذخائر جو / جو AA٦/٧/٦/١٠ ومارتا ٥٣٠/ ٥٥٠ مارتا سوبر ٥٢٠ أما الصواريخ جو /أرض من طراز اكسوسبت، هوت (أمريكية)، سيلك وورم (روسية الصنع) قنابل موجهة منها موجه بالليزر طراز C-٦٠١ بجانب قنابل هجومية. والتطور الوحيد منذ حرب الخليج إدخال صواريخ جو / جو من طراز ماجيك ٢، ودج فايت أمريكية الصنع والتى استولت عليها من الكويت.

قوات الدفاع الجوي العراقية:

قدرت منصات الصواريخ العاملة بحوالي ٥٧٥ منصة إطلاق منها حوالي ١٠٠-١٢٥ منصة طراز سام ٦(روسية). وحوالي ٢٠-٢٥ منصة سام ٨ (روسية) ٣٠-٤٥ منصة سام ٩ (روسية) وأعداد من منصات سام ١٦/١٤/٣١ (روسية) وحوالي ٣٠ منصة رولاند (غربية) ٥ وحدات صواريخ كروتال

(فرنسية) ٢٠٠ صواريخ سام ٧ محرك على الكتف (روسى). وحوالى ٦٠٠ مدفع مضاد للطائرات روسى الصنع وتشير التقديرات إلى أن وحدات الصواريخ أرض / جو صالحة للعمل وحشدها الرئيس للدفاع عن مدن البصرة وكركوك، ولحماية القوات البرية وتتبع وحدات الدفاع الجوى نظام الكمائن الجوية للتصدى للدوريات الجوية الأمريكية والبريطانية ولكن هذا النظام فشل حتى الآن أمام حداثة الطائرات الأمريكية والبريطانية التى تشتبك مع الأهداف عن بعد والأهم أن نظام القيادة والسيطرة مع القوات الجوية والدفاع الجوى ضعيف ولا يتناسب مع أنظمة القيادة والسيطرة الحديثة. ولكن اعتبر نظام الدفاع الجوى العراقي ما زال نشطا نسبيا من وجهة النظر العملياتية لمواجهة النشاط الجوى الأمريكي والبريطاني الذي يقوم بدوريات جوية تتشكل كل دورية من عدد من الطائرات ف١٥-١٦ ما بين ١٦-٢٤ طائرة وتقوم بقصف الأهداف العراقية.

القوات البحرية:

قدراتها متواضعة جدا وطرازاتها روسية الصنع.

*قوات الجيش الشعبى:

وهو التنظيم العسكرى لحزب البعث العراقي والذى تشكل فى عام ١٩٩٠ يتدرب فيه أعضاء الحزب لمدة تتراوح ما بين ١٥-٣٠ يوماً وهو تحت القيادة العراقية ومهمة تأمين النظام العراقي ويبلغ عدد المتطوعين ١٠٠,٠٠٠ فرد ويتكون من"قواطع"(أفواج) عددها من ٢٠ -٢٥ قاطعا، القاطع من ٤-٥ سرايا قوة كل منها ١٠٠ فرد مسلح بأسلحة صغيرة علاوة على سرية معاونة مسلحة ورشاشات ثقيلة وأسلحة مضادة للدبابات. وينتظر أن يكون لها دور فى تأمين الأهداف الاستراتيجية للدولة ضد أى أعمال تخريب بجانب الدفاع عن بعض الأهداف مثل الوزارات لحمايتها.

*** قوات الأمن:**

قوتهـــا حوالـــى ١٥ ألـــف فـــرد وتقوم بمهام الأمن والحفاظ على النظام الداخلى.

*** قوات حرس الحدود:**

قوتهـــا حوالى ٢٠ ألف فرد مسلحين بأسلحة خفيفة وهاونات فقط ومكلفة بحراسة الحدود.

***فدائيو صدام:**

تنظـــيم شبابى قوته من ١٠-١٥ ألف يهتم بتأهيل الشباب العراقي ويمكن اعتـــبار الجـــيش الشعبى العراقي وقوات الأمن وحرس الحدود وفدائيو صدام تنظيمات حماية النظام وأمن البلاد وليس لها دور فى مواجهة الهجوم الأمريكي إلا أثناء القتال داخل المدن الرئيسية.

إن التركيـــبة الديموجرافـــية للشعب العراقي عامل ضعف في بناء القوات المســـلحة العراقـــية، حيث العرب في العراق يمثلون ٧٥%-٨٠% في التعداد السكانى بينما الفئات الأخرى من أكراد وفئات أخرى بنسبة حوالى ٢٠-٢٥% بينما المرأة تعدادها يفوق تعداد الرجل وتصل نسبتها إلى ٤٩-٥١% أما بالنسبة للأديان فيمثل المسلمون فئتين دينيتين السنة والشيعة نسبتهما ٥٥% - ٤٥%.

وبناء على ذلك فإن التعداد السكانى العراقي يصل الي ٢٣,٨٤٦,٠٠٠ نسمة القـــادرون علـــى حمل السلاح لا يتجاوزون ٣,٠٦٥,٠٠٠ فرد فى سن التجنيد ويمـــثل نسبة ١٢,٨٥% من إجمالي تعداد السكان ومثلت القوات المسلحة التى قـــدرت قوتها بـــ ٤٢٩,٠٠٠ مجند (عامل) بنسبة ١٤% من القادرين على حمل السلاح وبعد التعبئة يمكن أن يصل تعداد القوات المسلحة العراقية ١,٧٩,٠٠٠ فـــرد تمـــثل نسبة ٣٥,٢% من القادرين على حمل السلاح ونسبة ٩,٢% من إجمالـــي الذكور. ولكن يعيب ذلك أنه عند التعبئة تتوقف قطاعات العمل داخل

العـــراق حيث تستقطب التعبئة نسبة ٣٥% من القادرين على العمل. وحاولت القـيادة العراقـية حل مشكلات بناء قوات مسلحة عراقية فى إطار الخطوات التالية:

* فـتح أبـواب العمـل للأجانب وبالذات من الدول العربية لسد الثغرات بالعمالة الأجنبية:

* إلزام البنات المتعلمات بالعمل.

* استدعاء كبار السن من الفنيين والإداريين للاستفادة من خبراتهم.

ممـا سبق يتضح أن القوات لم تكن على درجة عالية من الاستعداد القتالي لفـيود التدريب ونقص قطع الغيار وتدنى نسبة صلاحية المعدات مع انخفاض المعـنويات حيث إن الاهتمام كله يتجه إلى مهام أمنية بالإضافة إلى أن القوات الجويـة العراقية لن تستطيع مواجهة القوات الجوية الحديثة التى لدى الولايات المـتحدة الأمريكية والتحالف الدولى وبالتالي لم يكن هناك حماية جوية للقوات العراقية بحيث لم تستطع التحرك لمسافات وعند اشتباكها مع قوات برية يتدخل الطيران الأمريكي لمعاونة قواته بشكل فعال، بينما القوات الجوية العراقية كانت خارج المعركة بالكامل، لعدم إمكانية إقلاع الطائرات العراقية التى ظلت داخل الدشـم فـى مـنطقة الحظـر، كما تأثر موقف الدفاع الجوى نتيجة لتواصل الضربات الجوية عليه.

إدارة فكرة العمليات العراقية:

مـن هـذا التحليل العسكرى لموقف القوات العراقية يمكن تصور الخطوط العامة والمبادىء الأساسية التى راعاها المخططون العسكريون العراقيون عند وضع التخطيط الدفاعى عند الحرب ضد الهجوم الأمريكى وقوات التحالف.

- تغيير الأسلوب السلبى الذى اتخذته فى حرب الخليج الثانية ومحاولة التدخل فـــى بعض المراحل المتقدمة فى القتال سواء بالصواريخ أو بعض العمليات الفدائية لتحقيق الخسائر فى القوات المهاجمة.

- إطالـــة مـــدة القـــتال أطول مدة ممكنة لزيادة الخسائر وظهور عدم الرضاء الدولى شعوبا وحكومات.

- تحقيق أكبر خسائر ممكنة بشرية وفى المعدات.

- تجنـــب الدخـــول فـــى معارك مباشرة فى الأراضي المفتوحة ويركز الدفاع الرئيسي حول وداخل المدن الرئيسية وخاصة العاصمة بغداد .

- اســـتدراك قوات التحالف إلى قتالDOG FIGHT داخل المدن الرئيسية حيث يعيق ذلك استخدام قوات التحالف لأسلحتهم الثقيلة أو المعاونة الجوية القريبة وحيـــث يمكـــن إدخـــال قـــوات الملشيات والقبائل فى القتال الدائر والتجهيز الهندسى والقتالي للمناطق الحيوية كمناطق منابع البترول بحيث يعيق احتلالها أو حرمان قوات التحاف منها بتدميرها.

- تحقـــيق بعـــض المفاجـــآت كاستخدام بعض الصواريخ على مناطق التجمع الأمامية لقوات التحالف فى الكويت (لو أنها كانت ذات تأثير محدود).

وهناك ملاحظتان هامتان لا يمكن إغفالهما:

١- أنـــه كان من الصعب على العراق استخدام الأسلحة الكيماوية أو الجرثومية وذلك:

أ. أن التقارير الخاصة بلجان التفتيش الدولية تشير إلى أن العراق خالية من أسلحة نووية وكذلك من الأسلحة الكيماوية والجرثومية.

ب. أن تأثـــير استخدام هذه الأسلحة من قبل العراق سيكون سيئا جدا على موقفها وموقف العالم المعارض لهذه الحرب حيث سيكون شهادة إدانة وفى نفـــس الوقت شهادة تبرير للولايات المتحدة ودول التحالف المؤيدة لدخولها

فـــى هذه الحرب دفاعا عن أمنها ويكون حجم العقاب مدمراً للعراق علاوة على تهديد أمريكا بالرد على ذلك بكل شدة لدرجة احتمال استخدامها أسلحة نووية تكتيكية.

ج. أن تقـــارب القوات المتضادة من الطبيعى أن يجعل التأثير الضار لهذه الأسلحة غير مقتصر على طرف دون آخر أى يهدد أيضا القوات والشعب العراقى.

ولكن لو كانت العراق فعلا تمتلك بعض تلك الأسلحة المخبأة فمن المحتمل استخدامها فى المراحل النهائية للحرب نتيجة يأس القوات العراقية من تحقيق أي نصر أو مقاومة وخاصة وأنهم يعلمون جيدا أنهم لن يفلتوا من المحاكمة والعقاب الشديد.

٢- أملـــت القوات المتحالفة أن تنتهى المقاومة العراقية بأسرع ما يمكن ولذلك حاولوا بشتى الطرق إغراء الشعب العراقى وقواته المسلحة بعدم الاستمرار فى القتال وإغراء الرئيس صدام حسين وعائلته والمقربين إليه بترك البلاد إلـــى مهجر آمن وفى نفس الوقت محاولة إرهاب القوات المسلحة العراقية وقـــوات المقاومـــة وذلـــك بضربهم بالصواريخ وبالطائرات بتركيز شديد باستخدام قنابل شديدة القوة والتأثير.

دور وتأثير الشيعة والأكراد فى الأزمة:

حاولـــت الإدارة الأمريكـــية أن تستغل المعارضة فى الداخل والخارج فى إطـــار سياســـة أمريكـــية تســـتهدف استخدام الأقليات فى خطتها لتوجه ضربة عســـكرية للعراق، وأن هذا الاستخدام قد يؤدى إلى تقسيم العراق إلى دويلات، وقـــد دفعـــت الإدارة الأمريكية أموالاً للمعارضة بالخارج لكى تقوم بدورها فى إسقاط نظام صدام حسين.

الحـــركة الشـــيعية: جديـــر بالذكر أنه منذ بداية العهد الجمهورى بل ومنذ أواخـــر الحكم الملكى حدث تغيير هام فى الحركة الشيعية السياسية إذ أصبحت

تـــتخذ الإسلام كمرجعية وأيديولوجية أساسية لها، وكان طبيعياً كنتيجة لذلك أن تـــتحول مطالبها فى جانب منها إلى مطالب دينية ولم تعد مطالب سياسية فقط، كمـــا ســـبق الذكـــر، غير أن هذا الخلاف الدينى بين السلطة والحركة السياسية الشـــيعية لم يكن حقيقياً وإنما أخفى وراءه الخلاف السياسى الأبدى بينهما والذى تمـــثل فى سعى الشيعة للمشاركة فى السلطة ورفض النظام ذلك، ولكنه فى ظل فشـــل تلـــك الحـــركة فى تحقيق هدفها بدأت تلجأ – كوسيلة لتحقيقه أو كمهرب وملاذ من الواقع – مرة إلى الشيوعية خلال الأربعينات والخمسينات ومرة إلى الإســـلام خـــلال الســـيتينات والسبعينات، ففى مواجهة تبنى البعث لأيديولوجية القومـــية العربية فى معناها الضيق كان من الطبيعى أن يبحث الشيعة عن ملجأ يحمـــون مـــن خلاله هويتهم الذاتية فرأوا هذا الملجأ فى الأيديولوجية الإسلامية الـــتى تؤكـــد هويتهم المستقلة عن السنة لكن فى إطار القومية العراقية، وكانت مظاهـــر ذلك الانبعاث الإسلامى لدى الشيعة. بخلاف النزاع الدينى بين الحركة السياسية الشيعية والسلطة، حاولت الشيعة إقامة العديد من الأحزاب السياسية لهم فـــى العراق تقف فى مواجهة حزب البعث وأيديولوجيته الضيقة الأفق وسيطرة الســـنة عليه، كان أبرز تلك الأحزاب حزب الدعوة الإسلامية الذى تأسس عام ١٩٥٩ كرد فعل على التحدى الشيوعى والبعثي بتشجيع من آية الله السيد محسن الحكيم، ولذلك وجدنا خلافاً دينياً آخر ينفجر بين الشيعة والنظام فى عام ١٩٧٠ بســـبب اكـــتفاء الدستور المؤقت الجديد بالنص على أن"الإسلام دين الدولة"على النقـــيض من دستور ١٩٦٨ المتضمن إشارات عديدة للإسلام، ووجدنا كذلك أن حزب الدعوة تزداد اتجاهاته الثورية أكثر فأكثر فى مواجهة النظام العراقى فى فترة المواجهة بين الشيعة والسلطة فى إيران والتى سبقت قيام الثورة الإسلامية غـــير أن هـــناك نقطة هامة جداً يجب ألا تغيب عن الأذهان لتظهر مرة أخرى حقـــيقة الخلاف الأبدى بين السلطة والشيعة ذلك الخلاف السياسى أولاً وآخراً، فعلى الرغم من قيام الثورة الإسلامية فى إيران وكونها حافزاً أساسياً للمعارضة الشـــيعية العراقية والتى اتخذت من الإسلام مرجعية أساسية لها بالرغم من ذلك فـــإن أعضـــاء حزب الدعوة عبرواعن ولائهم – بالرغم من هذا كله – للهوية

العراقية خلال السبعينات والثمانينات ولم يؤيدوا فكرة الوحدة بين إيران والعراق أو فكرة ولاية الفقيه على النحو الذى طوره الخمينى، ومع تطور حزب الدعوة قبيل الثورة الإيرانية ومشاركته بل وقيادته لانتفاضتي ١٩٧٤، ١٩٧٧ فى النجف وكربلاء وزيادة قوته مع مقدم هذه الثورة عمل حزب البعث على توجيه ضربة عاصفة لهذا الحزب بلغت ذروتها فى أبريل عام ١٩٨٠ عندما قام البعث بتصفية آية الله الصدر وإعدامه وهو الذى مثل رمز المعارضة الشيعية لعراق صدام.

واستمرت حركة الشيعة المعارضة فى مد وجزر خلال عقد الثمانينات، وقام البعث فى عام ١٩٨٣ بتصفية عائلة مجتهد الشيعة السيد الحكيم، واستمرت المعارضة الشيعية فنوعت السلطة أساليبها فى مواجهتها بين العصا والجزرة فوجدنا مثلاً أن صدام حسين قام بزيارة عدد من مدن الشيعة المقدسة وحاول التقرب بالمال والمشاريع بالإضافة إلى ادعاء انحدار نسبه من الشجرة الهاشمية النبوية، واستمر الحال هكذا إلى أن قامت انتفاضة مارس عام ١٩٩١ حيث أتاح تحرير الكويت فرصة ثمينة للتخلص من نظام العدوان فى بغداد فانتفضت مدن الشيعة فى الوسط والجنوب ضد هذا النظام وفشلت الانتفاضة وانتقم صدام ونظامه أبشع انتقام من كربلاء والنجف وبقية المدن الشيعية وذلك تحت شعار لا شيعة بعد اليوم، وعلى الرغم مما أصاب الحركة الشيعية العراقية فإن حزب الدعوة الإسلامية استطاع أن يطور فكره ويصدر برنامجاً سياسياً فى عام ١٩٩٢ يعبر فيه بشكل صادق عن مطالب الشيعة"ذات الطبيعة السياسية"العادلة والمشروعة فى آن واحد وليست ذات الطابع المذهبى المغذى للصراع الطائفى وتمثلت هذه المطالب فى:

١ – مبدأ الشورى والانتخاب حجر الزاوية فى بناء النظام السياسى.

٢ – أن السلطة ونظام الحكم فى العراق يجب ألا يقوما على أساس سلطوى فردى وطبقى أو طائفى أو ممثلاً لمجموعة أو فئة معينة بل يجب أن يكون

الـــنظام تجســـيداً حقيقياً لرؤى وأهداف الشعب العراقى السياسية بقطاعاته كافة.

٣ – إعادة صياغة قانون الجنسية بما يصون حقوق المواطنين ومنع سحب الجنسية.

٤ – ضـــمان مشاركة المرأة فى الحياة السياسية بما فى ذلك حق الترشيح والانتخاب.

إذن فالقضـــية منذ البداية هى قضية سلطوية وليس لها أى علاقة بصراع مذهـــبى أو بـــولاء مذهـــبى من جانب الشيعة العراقيين يرغبهم فى الانتقام من السلطة فى العراق أو الوحدة مع إيران، فطبيعة مطالب الشيعة سواء تحت الحكم الملكـــى أو الجمهـــورى تعكس بحث الشيعة عن التكامل تماماً كما يبحثون عن المشـــاركة فـــى الســـلطة مع السنة من خلال مزيد من المشاركة فى الحكومة والبيروقراطـــية والجـــيش، حيث إن الغالبية العظمى من الشيعة عرب وهويتهم الأولـــية عراقية، ولم يسع الشيعة نحو حكم ذاتى أو اندماج بين العراق وإيران، علـــى العكس من ذلك أكد الشيعة على هويتهم العربية وحاولوا أن يحدثوا توافقاً بين انتمائهم المذهبى وانتمائهم القومى فى إطار الدولة العراقية، ولذلك وجدنا أن حـــزب الدعـــوة يرفض – كما سبق الذكر – توجهات طهران إلى جمع المرشد الـــروحى للثورة بين الولاية السياسية والمرجعية الفقهية لكل الشيعة، وقيل فى تقريـــر نشـــر عـــام ١٩٩٤، إن الحـــزب بدأ يميل إلى أن لكل بلد من البلدان الإســـلامية خصـــائص وطنية تختلف عما هى فى البلدان الأخرى، الأمر الذى يتطلب أن يكون للمسلمين وللحركة الإسلامية فى البلد المعنى"ولى أمر"وطنياً.. وبالتالـــي عدم إمكانية الأخذ بمبدأ أن يكون للمسلمين قاطبة ولى أمر واحد يدين لـــه الجمـــيع بالطاعة، هذا كله والنظام مستمر فى سلطويته وقمعه ضد الشيعة والـــذى تمثلـــت آخـــر مظاهره فى اغتيال آية الله محمد صادق الصدر فى ٢٧ فـــبراير ١٩٩٩ وذلـــك لسعيه لتحرير الشيعة على المستويين السياسى والدينى حيـــث قـــاوم الصـــدر تياراً حكومياً لإلحاق المرجعية الشيعية تدريجياً بالدولة

والإلحـــاق مســـاجد الشيعة بوزارة الأوقاف والتحكم بتعيين أئمتها إضافة إلى أن الصدر ألقى خطبة جاء فيها"لاشك أن افضل ما تفعله دولة لمجتمعها وشعبها هو إعطـــاء الحرية للتصرف والقيام بشعائرها الدينية والتنفيس عن قناعاتها النفسية والعقلـــية بالشكل الذى لا يضر الدولة أصلاً ولا يمت إلى سياستها وكيانها بأية صلة، وقد فرضت عليه الإقامة الجبرية بعد هذه الخطبة وتم اغتياله بعد اختراقه لتلك الإقامة الجبرية.

الحركة الكردية: مرت العلاقات العراقية – التركية بتطورات متلاحقة بداية مـــن ثورة ١٩٥٨ وتحولت العراق إلى النظام الجمهورى وأوضحت الثورة فى بداياتهـــا الأولى عن عمق العلاقات العراقية الكردية وأوضح قادة الثورة نظرياً حســـن نوايـــاهم تجاه المنطقة الكردية فى الشمال، وترجم هذا عملياً بالنص فى الدستور المؤقت للبلاد على قيام المجتمع العراقى على التعاون الكلى بين جميع المواطنين ووجوب احترام حرياتهم وحقوقهم، وأن الأكراد والعرب شركاء فى هـــذا الوطن، وتضمن الدستور بنوداً نصت على الحقوق القومية للأكراد ضمن إطار الكيان العراقى، وقامت الثورة بإطلاق سراح المساجين من الأكراد بسبب معارضـــتهم للســـلطة وأصـــدرت عفواً عاماً عن كافة الأكراد الهاربين خارج العـــراق وذهبـــت الـــثورة إلى أبعد من ذلك حين أعلنت أنها أصدرت تعليماتها بإعادة السياسيين الأكراد من المنفى على نفقة الدولة ونتيجة لهذا العفو عاد الملا مصطفى البارزانى إلى العراق، واستمرت المصالحة بين النظام والأكراد حتى عـــام ١٩٦١ عـــندما قـــام التمرد الكردى بسبب عدم استجابة عبد الكريم قاسم للمطالـــب الكردية المتمثلة فى الحكم الذاتى، ثم جاء انقلاب عام ١٩٦٣ والذى أتـــى بعـــبد السلام عارف إلى الحكم الذى بدأ حكمه بتأكيده على اعتراف قيادة الـــثورة بـــالحقوق القومـــية للأكراد فى العراق وبالتفاوض مع الملا مصطفى البارزانى الذى وجه فى عام ١٩٦٤ مذكرة بمطالب مبالغ فيها إلى الرئيس عبد السلام عارف تتضمن:

١ – الاعتراف بالنظام اللامركزى فى المنطقة وتولى الأكراد فقط شئونها.

٢ – تخصيص ثلثى واردات البترول للأكراد.

٣ – تشكيل جيش من الأكراد فى كردستان العراق.

٤ – الاعتراف الرسمى بحدود كردستان العراق.

٥ – تخصيص ميزانية خاصة للأكراد تستوفى من أموال الحكومة العراقية.

٦ – تعيين الموظفين الإداريين من الأكراد فقط فى المنطقة الشمالية.

٧ – إصدار عفو عام عن الأكراد والشيوعيين.

٨ – تعيين نائب لرئيس الجمهورية ونائب رئيس الوزراء ونائب رئيس الأركان وثلث الوزراء من الأكراد.

ولما لم يتم الاتفاق على شئ من هذه المطالب بين الحكومة العراقية والأكراد قرر الملا مصطفى استئناف القتال ضد الدولة فى عام ١٩٦٥، وتوقف القتال عام ١٩٦٦ وتم الوعد بدراسة المشروع المحلى للمنطقة الكردية، ثم جاء انقلاب عام ١٩٦٨، واستئناف الملا مصطفى القتال ضد الحكومة الجديدة وتوقف القتال فى عام ١٩٦٩ وتم إجراء مفاوضات بين النظام والأكراد انتهت بلقاء ما بين صدام حسين والملا مصطفى وفيه تم الاتفاق على إصدار بيان ١١ مارس عام ١٩٧٠ والذى يعتبر أهم تطور سياسى فى سير القضية الكردية واعتراف النظام بالحقوق القومية للأكراد حيث جاء فى هذا البيان ما يلى:

١ – الاعتراف باللغة الكردية باعتبارها لغة رسمية فى المناطق التى يشكل الأكراد غالبيتها كما تم النص على التدريس باللغتين العربية والكردية فى كل المدارس.

٢ – مشاركة الأكراد فى الحكومة بما يشمل تعيينهم فى المواقع الرئيسية فى الدولة.

٣ – التأييد للتعليم والثقافة الكردية.

٤ – الموافقة على تحدث الموظفين فى المناطق الكردية باللغة الكردية.

٥ – الحق فى تأسيس منظمات كردية طلابية، شبابية، ونسائية، تعليمية.

٦ – التنمية الاقتصادية للمنطقة الكردية.

٧ – عودة الأكراد إلى قراهم أو التعويض المالي.

٨ – الإصلاح الزراعى.

٩ – تعديل الدستور العراقى لينص على أن الشعب العراقى يتشكل من قوميتين أساسيتين:"القومية العربية"و"القومية الكردية".

١٠– تعيين نائب لرئيس الجمهورية من الأكراد.

١١– إقامة حكم ذاتى للمنطقة الكردية.

وبناء على ذلك أعلن البارزانى تأييده للإعلان ووعد بتأييد الوحدة القومية وقد اتخذت الحكومة العديد من الخطوات التنفيذية لهذا البيان، وكان أولها التعديل الوزارى الذى بموجبه تم تعيين خمسة من قادة الأكراد البارزين فى مناصب وزارية هامة، وقامت الحكومة وفقاً للمادة الرابعة من البيان بتعيين عدد من الأكراد حكام أقاليم ونائبين لحكام الأقاليم ومديرى أحياء، وقامت الحكومة بتعيين عدد من الأكراد فى السلك الدبلوماسى عام ١٩٧٠، وفى نفس العام قامت وزارة التعليم بإعلان تنفيذها للمادة الأولى من البيان والخاصة باستخدام اللغة الكردية كلغة تعليم فى المدارس الكردية والقيام بتدريس اللغة الكردية والأدب الكردى كموضوعات أساسية فى المدارس الحكومية فى الشمال، وظهرت الصحف والمجلات الكردية والمؤسسات الثقافية واتحادات المعلمين والمرأة والشباب والطلاب، وتم تخصيص المزيد من المبالغ الحكومية لتنمية المناطق الكردية وتعديل الدستور بالاعتراف بالقومية الكردية كقومية أساسية للشعب العراقى، وقد أعلن الأكراد تفاؤلهم بشأن هذا البيان والخطوات التى اتخذتها الحكومة فى اتجاه تنفيذه، فقد صرح البارزانى فى مقابلة معه عام ١٩٧٠ فى هذه اللحظة

نحـن نشـعر بالتفاؤل، فبعد حرب دامت عشر سنوات قامت الحكومة العراقية بـتقديم الاستقلال لنا فى مارس كما أنها تقوم بتنفيذ الاتفاق بشكل جيد". إلا أنه اسـتمرت هناك نقاط خلافية بين الأكراد والحكومة تسببت فى تدهور العلاقات مرة أخرى وانتهاء أيام شهر العسل بين الجانبين.

وتلـك الخلافـات تمثلـت فى تخطيط المناطق الكردية، شريطة مشاركة الحزب الديمقراطى الكردستانى فى الحكومة، واستمرار العلاقات الكردية بإيران والدعم الأمريكى – الإيرانى للبارزانى، فكان أن استؤنف التمرد مرة أخرى فى السـبعينيات، وفى محاولة لاسترضاء الأكراد مرة أخرى قام الرئيس البكر فى عام ١٩٧٤ بإعلان قانون الحكم الذاتى للمنطقة الكردية وتمثلت أهم ملامح هذا القانون فيما يلى:

١ – أقـر القانون فى مادته الأولى بوجوب حصول المنطقة الكردية على الاستقلال، ذلك الاستقلال الذى يكون محدوداً بالوحدة الاقتصادية والقانونية والسياسية للجمهورية العراقية.

٢ – أقـر القانون فى مادته الثانية بأن اللغة الكردية هى اللغة الرسمية فى المـنطقة الكردية إلى جانب اللغة العربية وهى لغة التعليم غير أن تدريس اللغـة العربية إجباري فى جميع المراحل إضافة إلى ذلك أكد القانون على أن اللغة العربية هى اللغة الرسمية للاتصال بين الحكومة والمنطقة الكردية.

٣ – تحدثـت المادة الثالثة من القانون عن حقوق الأقليات غير الكردية فى المنطقة.

٤ – وأكدت المادة الرابعة ضرورة توافق السلطة القضائية فى المنطقة مع النظام القانونى للعراق.

٥ – وتعاملت المادة الخامسة مع مسألة الاستقلال المالي للمنطقة فى إطار التكامل المالي مع الدولة.

وتعـــامل الجزء الثانى من القانون مع مسألة إقامة سلطة تشريعية وتنفيذية للمـــنطقة، أما الجزء الثالث فقد تعامل مع مسألة العلاقة بين الحكومة المركزية والســـلطات المســـتقلة وفـــيه قيدت السلطات المستقلة بقيود كثيرة فى علاقاتها بالســـلطة المركزية، ومن ثم فإنه على الرغم من أن القانون قد اعترف بالأكراد باعتبارهم قومية لها هوية ذاتية إلا أنه فرض قيوداً عديدة على الحكومة المستقلة وجعـــل الســـلطة النهائية فى يد الحكومة المركزية الأمر الذى جعل البارزانى يـــرفض قـــانون الاســـتقلال المحلى، إضافة إلى النزاع الأساسى بين الحكومة والأكـــراد على منطقة كركوك، ومن ثم شن البارزانى الحرب مرة أخرى على الـــنظام وخاصـــة فـــى ظـــل المساعدات الأمريكية والإيرانية له، واستـــمرت حركـــــة التمرد الكرديـــة حتى جاء التوقيع على الاتفاقية العراقية – الإيرانية عام ١٩٧٥، لتكون بمثابة العامل الأساسى فى انهيار هذه الحركة وانقسامها على نفســـها، فنتـــيجة للتنازلات التى قدمها العراق بشأن شط العرب لإيران، توقفت إيران عن المساعدة التى تقدمها للحركة التمردية الكردية.

بعـــد أن كانت الحركة التمردية الكردية قوية وعنيفة – كما سبق الذكر – جـــاء الاتفـــاق العـــراقى – الإيـــرانى لـــيكون بمثابة بداية الطريق الانهيارى والانقســـامي لتلك الحركة، فقد شجع هذا الضعف الذى أصاب الحركة – نتيجة توقـــف المســـاندة الإيرانية لها – السلطات العراقية على اتخاذ سياسات تهجير قســـرى وانـــتهاك حقوق الإنسان لملايين من الأكراد خلال النصف الثانى من الســـبعينات، انشـــق نتـــيجة لذلك وكذا لموت مصطفى البارزانى انشق الحزب الديمقـــراطى الكردســـتانى وخرج منه عدة مجموعات أبرزها الاتحاد الوطنى الكردســـتانى والذى قاده طالبانى، وفى الوقت الذى تحالف فيه البارزانيون مع غـــيرهم، تحالف الاتحاد الوطنى الكردستانى مع سوريا واشتعلت الخلافات بين الجانبين، وحاول طالبانى أن يقيم علاقة مع السلطة العراقية وبالفعل بدأ الحوار بيـــن السلطة العراقية وبينه عام ١٩٨٤ غير أن المفاوضات فشلت نتيجة تدخل تركـــيا، ومع بدء التوحد مرة أخرى داخل الجبهة الكردية عام ١٩٨٨ وتكثيف

نشاطها وقيامها بتحرير عدد من المدن الكردية التى تم تهجير السكان الأصليين منها ظهرت وحشية وسلطوية النظام حيث إنه أمام الانتصارات الكردية صعدت بغداد من سياسة التهجير إلى أن أصبحت حرب إبادة منظمة (مدينة حلبجة) باستعمال كل أنواع الأسلحة وبالذات الأسلحة الكيماوية واستمرت حرب الإبادة ضد الأكراد فى أعقاب حرب الخليج حيث تم سحق الانتفاضة بكل الوسائل، وبدأت مفاوضات بعد ذلك بين النظام والحركة الكردية المعارضة تركزت حول مطالب سياسية مشروعة – كما سبق وأكدنا– فهى ليست مطالب انفصالية أو مسببة لتغذية الصراع العرقى بين العرب والكرد وتمثلت فى الحكم الذاتى وفق التصور الكردى والممارسة الديمقراطية للنظام فى المستقبل، وجاء تطور مهم جداً فى القضية الكردية أظهر سلطوية وهشاشة النظام فى آن واحد حيث قرر صدام بدون أية مقدمات فصل إقليم كردستان إدارياً عن باقى العراق وسحب جميع الإدارات من مدن أربيل – السليمانية – دهوك والتوقف عن دفع رواتب الموظفين الأكراد وإعلان حصار اقتصادي ضد المنطقة، وكان قرار مجلس الأمن رقم ٦٨٨ مؤكداً لوجود إقليم كردستان ككيان شبه مستقل الذى بالرغم من عدم الاعتراف الدولى به رسمياً يتعامل مع قادة ومسئولى كثير من الدول وبالذات أوروبا وأمريكا وحتى تركيا والتى لا تعترف أساساً بوجود أكراد لا داخل تركيا ولا خارجها، وهذا يعنى أن المنطقة الكردية الآمنة فى الشمال تحولت إلى منطقة حكم ذاتى تحت سيطرة طالبانى وبارزانى وشكل الحزبان حكومة ائتلافية أجريت انتخاباتها عام ١٩٩٠ ولكن نشب الصراع بين الجانبين فتوقفت الإدارة الكردية المستقلة غير أن بوادر عودتها عادت مرة أخرى للظهور من خلال اتفاق واشنطن الذى حقق التصالح بين الطرفين فى عام ١٩٩٨ وفيه تم الاتفاق على قيام انتخابات جديدة، ولكن بالرغم من ذلك هل ستسمح الظروف الدولية المعاصرة للأكراد بالحصول على حقوقهم السياسية المشروعة؟ (حكم ذاتى) أو بتخطيها على أخرى غير مشروعة (قيام الدولة الكردية فى ظل النظام السلطوى الحالي أو فى ظل نظام جديد؟

وإذا كان هذا الأمر الأخير صحيحاً فما هى صفات هذا النظام الجديد؟ وهل تركيبـــته سوف تتسم بالسلطوية أيضاً؟ وقد أجاب على هذا السؤال مقال تحليلى بعنوان"السياسة الأمريكية فى ميزان الصراع حول العراق"والذى نشر فى الحياة فـــى ٦ مـــارس ١٩٩٩ حيث يقول"إن الإدارة الأمريكية مازالت ترى أن نجاح الأكراد والشيعة فى إسقاط نظام صدام سيفتح المجال لتقسيم العراق أو لفوضى يصـــعب الســـيطرة علـــيها"ومن هنا يؤكد المقال أن أقصى ما سوف تسمح به الظروف الدولية هو"انقلاب سنى"وليس كردياً أو شيعيا، يطيح بنظام صدام ويأتى بـــنظام ســـنى سلطوى مركزى يمكن التعامل معه دولياً دون أن يسمح داخلياً، بحصـــول الشـــيعة الأكـــراد على حقوقهم المشروعة لأنه يتسم بنفس التركيبة السلطوية المركزية التى تهيمن عليها أقلية ويطرح المقال رأياً بناء على ما جاء فـــى قـــانون تحريـــر العراق الذى خصص للمعارضة دعماً يساوى ٩٧ مليون دولار أمريكى، حيث يرى أن هذا القانون يمثل ورقة ضغط بعيدة المدى وليست ورقـــة تغيـــير جديـــة تقوم بجهد حقيقى لإسقاط صدام، وهذا يعنى أن الصورة الحالية لسلطوية النظام سوف تستمر ويستمر معها حرمان الأكراد والشيعة من حقوقهـــم السياســـية المشـــروعة دون أن يكون لذلك أية علاقة بولاء عرقى أو مذهبى معاد للقومية العراقية.

وعلـــيه فالاعـــتقاد السائد أن الأقلية الكردية والشيعية لن يكون لها حق فى تكويـــن دوليتيـــن خاصتين بهما ولكن سيكون لهما دور فى التركيبة الاجتماعية للعـــراق فـــى إطـــار التغييرات التى تجرى، حيث لن يكون هناك موافقة على انفصـــال هاتيـــن المؤسستين ويظلان تابعتين للسلطة العراقية الجديدة فى إطار وحدة العراق وسيطرة الحكومة العراقية على وحدة العراق.

ولكن خلال الإعداد العسكري للحرب ضد العراق وجد الأمريكيون أنفسهم فى موقف صعب

أ-حيـــث رفضـــت تركيا فتح حدودها لعبور القوات البرية الأمريكية من خلالهـــا إلى شمال العراق حيث منابع البترول فى الشمال علاوة على الاشتراك

فى الضغط على القوات العراقية لتشتيت جهودهم بين الاتجاه الجنوبي والاتجاه الشمالي ولتحقيق رغبة الجنوبيين لتحقيق المقاومة العراقية هناك.

ب- احتياج القوات الأمريكية إلى معاونة المقاتلين الأكراد ولطرد القوات العراقية من الشمال العراقي واشتراط الأكراد لاشتراكهم فى الحرب عدم دخول قوات تركية الأراضي العراقية.

جـ- فى نفس الوقت انتاب الأتراك الخوف من أن يؤدى اشتراك الأكراد فى تحرير شمال العراق من القوات العراقية احتلالهم منابع البترول فى كركوك والموصل ورفض الخروج منها واعتبارها نواة لتشكيل الدولة الكردية وقد هددت تركيا بأن حدوث شئ من هذا سيضطرها إلى الدخول إلى شمال العراق ومنع حدوث ذلك بالقوة العسكرية.

هـ- فى نفس الوقت توجد جماعات منهم تعارض وجود القوات الأمريكية ولكن تأثيرها قليل نتيجة لصغر حجمها علاوة على اتهام أمريكا لها بالتعاون مع تنظيم القاعدة.

ثالثاً: دور القوى الإقليمية المؤثرة فى الأزمة

١- دول مجلس التعاون الخليجى

لقد كان من النتائج المباشرة للغزو العراقى للكويت، أن دول مجلس التعاون الخليجي واجهت موقفاً صعباً أدى إلى وجود حساسية شديدة لأعضائه فيما يتعلق بأمن الخليج، فقد أدى هذا الموقف المفاجئ إلى أن المجلس فضل التعاون مع المسألة العراقية بمعزل عن الإطار العربى وجاء ذلك نتيجة للصدمة من جراء غزو دولة عربية لدولة عربية أخرى مع تهديد باقى دول المجلس ثم وقوف بعض الدول العربية بجانب العراق الشئ الذى لم يكن متوقعًا وما حدث من فشل مؤتمر القمة العربى فى احتواء الموقف، كل هذا كان له تأثيره النفسى على المستوى العربي انعكس على عدم جدوى التحرك من خلال الإطار العربى،

ومع وجود ضغوط خارجية من قبل العراق وإيران فضلت دول الخليج الاعتماد على العنصر الأجنبى بإمكانياته، مما أثر ذلك على عدم تنفيذ الشق العسكري من إعلان دمشق نتيجة لضغوط دولية وإقليمية خليجية مما أدى إلى امتلاك الولايات المتحدة الأمريكية لزمام الإدارة والأمن فى منطقة الخليج وجواره الجغرافي.

أما فى الظروف الحالية فقد اختلف الموقف فقد قبل مجلس التعاون الخليجى أن يكون تحركه داخل إطار عربى بحضوره مؤتمر القمة ولكن كانت له حساسيته التى أدت إلى اقتراح بضرورة تخلى النظام العراقى عن الحكم ولكن تم احتواء هذا الموقف، ولكن لوجود ارتباطات تحالفيه بين دول مجلس التعاون الخليجى مع الولايات المتحدة الأمريكية بعد تحرير الكويت أملتها الجوانب الأمنية، حدت كثيرا من دائرة تحركه وفاعليته فهناك واقع هو وجود قواعد عسكرية بها قوات أمريكية تستعد لغزو العراق ولا يمكن من الناحية القانونية طلب خروج هذه القوات وعليه فإن مشاركة الدول الخليجية فى مؤتمر القمة كان لتلافى المأزق حيث قبلت دول مجلس التعاون الخليجى مبدأ عدم المشاركة بقواتها العسكرية مع القوات الأمريكية فى غزو العراق، ومع الوضع فى الاعتبار وجود فهم خليجي موحد بني عن قناعة ثابتة وموقف حازم بضرورة التزام العراق بتنفيذ قرارات الأمم المتحدة بما فيها الإفراج عن الأسرى الكويتيين ومطالبته بالتعاون الجاد والأمنى مع لجان التفتيش على أسلحة الدمار الشامل والتزامه بعدم تهديد جيرانه مع دفع التعويضات.

من هذا المنطلق فإن مجلس التعاون الخليجى أكد على ضرورة تنفيذ العراق للقرارات الدولية بالتعاون مع اللجنة الخاصة بالتفتيش على أسلحة الدمار الشامل، وإن كانت قرارات مؤتمر القمة يرى ضرورة رفع العقوبات عن العراق فى مقابل استمرار تنفيذ اتفاق النفط مقابل الغذاء إلا أن دول المجلس لديها الرغبة فى ذلك مع التأكيد على وحدة العراق وسلامة أراضيه.

التزم مجلس التعاون الخليجى بما اتخذ من قرارات عربية فى مؤتمر القمة الأخير حيث وافقت على القرار الخاص بعدم الموافقة على توجيه ضربة

عسكرية للعراق، على أن يلتزم بضرورة تنفيذه والامتثال للقرارات الدولية والتعاون مع لجنة التفتيش الدولية متمشياً فى ذلك مع قرارات مؤتمر القمة.

والأهم أنه تم الاتفاق على عدم إسقاط النظام العراقى بالقوة وإن كان هناك تباين فى موقف دول المجلس بخصوص معارضة دول المجلس للولايات المتحدة الأمريكية والمملكة المتحدة فى استخدام أراضيها وقواعدها فى ضرب العراق كما تباينت الموافقة على رفع العقوبات إلا أن هذا لم يؤثر على الجوهر العام لاتجاهات الرأى والكلمة الموحدة التى ظهرت فى قرارات مؤتمر القمة، الأهم من ذلك أن الموقف الأمريكى وتجاوزاته يقلق دول مجلس التعاون الخليجى، وبالأخص أن الحرب ستكون لها آثارها المدمرة على الدول الخليجية وعلى الجوانب الاقتصادية وعائدات البترول التى ستتأثر تماما بالمدى الزمنى للحرب ضد العراق وما يترتب عليه من المزيد من عدم الاستقرار حتى يكون هناك عذر مقبول لاستمرار الوجود العسكرى الأجنبى طالما التهديد قائما، ويزيد من قلق دول المجلس ما تهدف إليه الولايات المتحدة الأمريكية من تغيير نظام صدام حسين حيث إن التغيير باستخدام القوة قد يتكرر مع دول أخرى، وإذا أضيف إليه رغبة أمريكية بفرض الديمقراطية فإن دول المجلس لن تكون بمنأى عن هذه المتغيرات، وفى إطار حساب موازين القوى فإن إضعاف العراق عسكرياً يخل بالتوازن لصالح إيران التى تحتل الجزر الثلاث وتنمى قدراتها العسكرية التقليدية وغير التقليدية مما يسبب إزعاجاً أمنياً لدول المجلس، وقد كان المخرج هو عدم موافقة دول الخليج على توجيه الضربة العسكرية الأمريكية للعراق وتغيير نظامه بالقوة، وتظل مشكلة بقاء القوات الأجنبية قائمة دون حل، علماً بأن استمرارها قد يجعلها تتحول إلى قوات احتلال. وعليه فإنه على المدى القريب يفضل مجلس التعاون الخليجى استمرار تواجده فى الإطار العربى (إعلان دمشق فى التسعينات) حتى يستطيع فى وقت ما أن يغير من معادلة التوازن المرتكزة على الفاعل الأجنبى- إذا سمح الموقف بذلك -، مع الوضع فى الاعتبار احتمالات أن يتحول التهديد الأمريكى نحو إيران الدولة التى تمتلك

أسلحة وقدرات تقليدية حديثة وفوق تقليدية وقريباً قد تمتلك قدرات نووية، وعليه فالهاجس الأمنى بوجود مخاطر من اتجاه إيران فيما لو حاولت الولايات المتحدة الأمريكية ممارسة ضغوط القوة على إيران حيث سيكون رد إيران بالتهديد باستخدام القوة. وحتى الأزمة الكورية فإن مدى صواريخها يصل إلى منطقة الخليج حيث القواعد العسكرية الأمريكية، أما على المدى البعيد فإن منطقة الخليج مع ما جاورها من مناطق استراتيجية يمكن أن تكون مسرحاً للعمليات فى حالة نشوب حرب عالمية بين الصين والولايات المتحدة الأمريكية، وفى إطار تحالف دولى جديد لإيقاف صعود الصين لتكون قطبا ثانيا منافساً للقطب الأمريكى الأوحد.

نخرج من ذلك بحقيقة واضحة وثابتة مضمونها أن الاتفاقات العسكرية والأمنية بين دول الخليج والولايات المتحدة وبريطانيا والتى تسمح بوجود قواعد عسكرية لهما فى داخل الخليج كان لها دور هام وتأثير مباشر فى إمكانية الدولتين (الولايات المتحدة وبريطانيا) فى حشد القوات العسكرية اللازمة للإعداد للحرب ضد العراق وإعاشتهم خلال هذه الفترة.

٢- الدور التركي ومدى مصداقيته

من الواضح أن الإدارة الأمريكية كانت تفكر في أن القوات الأمريكية يمكنها الدخول إلى العراق من الشمال كأحد الاتجاهات الرئيسية للهجوم الأمريكي، وبناء على ذلك فقد طلبت الإدارة الأمريكية من تركيا أن تسمح لقواتها بأن تعمل من هذا الاتجاه، وطلبت الحكومة التركية مهلة للتصديق حتى يمكنها أخذ موافقة البرلمان التركي وتقدمت بمشروع قرار بنشر ٦٢ ألف جندى أمريكي تعززه ٢٢ طائرة فى الأراضي التركية تمهيدا للحرب ضد العراق، ويجدر الإشارة إلى أن تركيا عضو في حلف الناتو ولكن هذا الطلب لم يقدم من خلال قيادة الناتو فهو خارج نطاق الناتو، وقد صرح رئيس البرلمان التركي بولنت أزنار رفض البرلمان لهذا المشروع حيث صوت لصالحه ٢٦٤ نائبا

ورفضـــه ٢٥١ نائبا من بينهم ٦٧ نائبا من حزب العدالة الحاكم مع امتناع ١٩ نائبا عن التصويت، وقد استند رئيس البرلمان التركي في رفضه إلى شكوى تقدم بهـــا حـــزب الشعب الجمهورى المعارض استند فيه إلى المادة ٩٦ من الدستور التركـــي التى تنص على أن الموافقة تتم بأغلبية الحاضرين وليس بمقارنة عدد المؤيدين لعدد الرافضين، ووفقا لذلك يكون حساب التصويت كالتالي:

٢٦٤ صـــوتا مؤيـــدا مقابل ٢٧٠ معارضا من مجموع الحاضرين ٥٣٤ عضـــوا وقد مثلت نسبة التصويت ضربة قوية للحكومة وحزب العدالة والتنمية الحـــاكم، والذى يشهد انقساما بين صفوفه (حزب العدالة يشغل ٣٦٣ مقعدا من إجمالي ٥٥٠ مقعدا)، وقد قرر رئيس حزب العدالة والتنمية الحاكم عقد اجتماع طـــارئ للجنة المركزية لبحث موقف الحزب والحكومة إزاء التعاون مع أمريكا فـــي الحرب ضد العراق، وقامت مظاهرات شارك فيها حوالي ٥٠ ألف تركي أمام مقر البرلمان في أنقره للمطالبة بعدم تأييد مشروع القرار ورفعوا شعارات المعارضـــة للولايات المتحدة وإسرائيل، وطلبت الإدارة الأمريكية توضيحا عن هـــذا الموقـــف الرافض للمشروع، وأعلنت السفارة الأمريكية في أنقرة أن هذا الموقـــف لن يؤثر على العلاقات التركية / الأمريكية وسيكون محل احترام من واشـــنطن، وقـــد تكون المعالجة لتمرير هذا المشروع باللجوء إلى عرضه على مجلـــس الأمن القومي التركي الذي له علاقات طيبة مع الإدارة الأمريكية ومع إســـرائيل إذا كانـــت الدلائل تشير أنه قد يرفض عند عرضه للمرة الثانية على انتشار قوات أمريكية بهذا الحجم على أرضه.

تـــدور فـــي كوالـــيس منطقة الشرق الأوسط وفيما بين بعض دولها وبين الولايـــات المـــتحدة مفاوضـــات ومساومات بشأن تمرير أو تأييد المشاركة في العـــدوان الأمريكي ضد العراق وهذه المساومات تتعلق بصورة أساسية بالثمن الـــذي تطلبه بعض دول المنطقة كمقابل لموقفها المؤيد للولايات المتحدة أيا كان مستوى هذا التأييد.

وتعتبر تركيا هى أكثر دول المنطقة وضوحا وشفافية في هذا الصدد حيث أجـــرت المساومة مع الولايات المتحدة بشكل علنى وامتنعت عن الموافقة على السماح للقوات الأمريكية باستخدام القواعد التركية فى العدوان على العراق من أجـــل رفـــع سقف الثمن الذى ستدفعه واشنطن لها مقابل ذلك، كما أن الرفض الشـــعبي التركـــي الحقيقي للحرب الأمريكية ضد العراق جعل موافقة الحكومة التركـــية على تأييد هذه الحرب تبدو تجاوزا للمواقف الشعبية ومخاطرة تستحق أن تقدم الولايات المتحدة للحكومة التركية لتمركز ومرور القوات الأمريكية لما ســـيترتب علـــيه من خسارة الكثير من المساعدات كثمن لإقدامها عليها، وبهذا الشـــكل صرح وزير الاقتصاد التركى بأن الأضرار التى ستلحق بتركيا نتيجة الحرب تبلغ ٢٨ مليار دولار، وأنها تنتظر أن تعوضها الولايات المتحدة عن هذه الأضـــرار. كما كان مراد مرجان نائب رئيس الحزب الحاكم في تركيا قد أعلن فـــى ديســـمبر الماضـــى أن بلاده نقلت اقتراحا رسمياً للولايات المتحدة يقضى بحصـــول تركـــيا علـــى ١٠% من النفط العراقى بعد احتلال الولايات المتحدة للعـــراق، كثمـــن بالطبع للدعم التركى للحملة العدوانية الأمريكية ضد العراق، وبالإضـــافة إلـــى المطالـــب الاقتصادية التركية من الولايات المتحدة فإن هناك مطالب سياسية وأمنية تتعلق بالسماح للقوات التركية بالتوغل إلى عمق ٧٥ كيلو متراً فى شمال العراق، وعدم السماح بقيام دولة كردية مستقلة فى شمال العراق، وعدم تسليح الأكراد بأسلحة ثقيلة.

وبالمقـــابل أعلنت الولايات المتحدة الأمريكية أنها مستعدة لتقديم مساعدات قدرها ٦ مليارات دولار لتركيا، إضافة إلى ضمانات حكومية أمريكية لقروض يمكن لتركيا الحصول عليها بقيمة ٢٠ مليار دولار، مقابل الموافقة التركية على تأييد الحرب الأمريكية ضد العراق والسماح للقوات الأمريكية باستخدام القواعد التركـــية فـــى هـــذه الحرب، وهذا الأمر ليس جديداً بالنسبة للعلاقات التركية الأمريكـــية بشـــأن قضـــايا مشـــابهة، فعندما أيدت تركيا الحملة الأمريكية ضد أفغانســـتان، وســـمحت لهم باستخدام قواعدها، قامت الولايات المتحدة باستخدام

نفوذهـــا لدى صندوق النقد الدولى لحثه على تقديم قرض قيمته ١٦ مليار دولار لتركيا لمساندتها فى أزمتها الاقتصادية التى تعانى منها منذ عام ١٩٩٩، والتى بلغت ذروتها فى عام ٢٠٠١ كما قدمت الولايات المتحدة وعداً لتركيا بإسقاط ٥ ملـــيارات دولار مـــن ديونها العسكرية، وهو وعد لم يتحقق حتى الآن وهو ما يفسر الإصرار التركى على عدم القبول بمجرد التعهدات هذه المرة وإنما اتفاقات يـــتم توقـــيعها علـــى أعلى مستوى لضمان الحصول على المساعدات التى تعد الولايات المتحدة تركيا بالحصول عليها فى حالة تأييدها للعدوان الأمريكي على العراق.

ولأن المســـاومات بشـــأن مـــثل هذه القضايا تتضمن التلويح بسيف المعز وذهـــبه، فـــإن الولايات المتحدة التى قدمت الوعود بتقديم المساعدات لتركيا فى حالة موافقتها على المطالب الأمريكية المرتبطة بالحرب على العراق، هددت فى الوقـــت نفسه بقطع المساعدات الأمريكية عن تركيا إن رفضت السماح للقوات الأمريكـــية باستخدام قواعدها فى الهجوم المزمع ضد العراق، لكن المساعدات الأمريكية لتركيا محدودة إلى حد كبير، وهى تقل عن ٠,٤% من الناتج المحلى الإجمالي للتركى، بما يعنى أن توقفها لن يسبب مشكلة جديدة للاقتصاد التركى، كمـــا أن العلاقات الاقتصادية التركية مع الولايات المتحدة قائمة على المصالح المشتركة بين الطرفين، ومن الصعب للولايات المتحدة أن تستخدمها فى الضغط على تركيا لأن أى قرار بشأنها سيضر الولايات المتحدة على قدر الضرر الذى ستتعرض له تركيا. فالتجارة بين الدولتين قائمة على التوازن تقريباً، حيث بلغت قـــيمة الصادرات التركية للولايات المتحدة الأمريكية نحو ٣١٢٦ مليون دولار عـــام ٢٠٠١، فـــى حيـــن بلغـــت قيمة الواردات التركية من الولايات المتحدة الأمريكـــية نحو ٣٢٦١ مليون دولار فى العام نفسه، بما يعنى أن هناك فائضاً تجاريـــاً أمريكـــياً مع تركيا بلغ ١٣٥ مليون دولار فى العام المذكور، وهو ما يجعـــل تركـــيا مهمة للولايات المتحدة فى هذا الصدد، حيث إن الأخيرة تحقق عجزاً تجارياً هائلاً فى معاملاتها مع غالبية بلدان العالم، وأسفر ميزانها التجارى

إجمالي عن عجز بلغ قدره ٤٥٦ مليون دولار فى السنة المالية الأخيرة، وتمثل تجارة التركية مع الولايات المتحدة الأمريكية نحو ٨,٩% من إجمالي قيمة التجارة التركية، فى حين تمثل تجارتها مع الدول الاتحاد الأوروبى نحو ٤٦,٨ % من إجمالي تجارتها الخارجية، وهو ما يوضح أن الولايات المتحدة ليس لديها ما تضغط به على تركيا فى مجال التجارة، كذلك فإن الولايات المتحدة تعتبر مورداً محدوداً للسياح إلى تركيا، فمن بين عشرة ملايين سائح تستقبلهم تركيا سنوياً (قبل أحداث ١١ سبتمبر)، لم يتجاوز عدد السياح الأمريكيين نحو ٤٠٠ ألف سائح، بما شكل نحو ٤% من عدد السياح الأجانب الذين زاروا تركيا، وتعد ألمانيا وروسيا وبريطانيا هى الدول الموردة الرئيسية للسياح إلى تركيا، وهى التى يمكن للتدفقات السياحية منها على تركيا أن تؤثر بصورة قوية فى أوضاع قطاع السياحة التركى الذى يسهم بما يزيد على ٤% فى الناتج المحلى الإجمالي لتركيا.

كذلك فإن الاستثمارات الأمريكية فى تركيا محدودة، حيث إن الشركات الأوروبية هى المسئولة عن ضخ الجانب الأكبر من تدفقات الاستثمارات المباشرة وغير المباشرة إلى تركيا، هذا فضلاً عن أن الاستثمارات الأجنبية المباشرة المتراكمة فى تركيا تعتبر محدودة فى مجملها بالنسبة لدولة كبيرة مثل تركيا، حيث لم تتجاوز تلك الاستثمارات المتراكمة فى نهاية عام ٢٠٠١، نحو ١٢,٦ مليار دولار مقارنة بنحو ٢٦ مليار فى السعودية، ونحو ٢١,٤ مليار دولار فى مصر، ونحو ١١,٧ مليار دولار فى تونس، وكل هذا يعنى أن أوراق الضغط الأمريكية على تركيا فى مجال الاقتصاد تعد هامشية تقريباً، ولا يبقى سوى العلاقات الأمنية والتسليحية، وهى تمثل مصلحة مشتركة بين الدولتين ولا تصلح لأن تكون مجالاً للضغط من قبل أى دولة منهما على الأخرى، وهذا الواقع يؤكد أن الموقف الذى تتخذه الحكومة التركية من العدوان الأمريكي المحتمل ضد العراق يكون نابعاً من حسابات المصلحة المباشرة للدولة التركية فى عقد صفقة تكسب منها الكثير من واشنطن على حساب العراق وشعبه،

بالـــرغم من المعارضة الشعبية والبرلمانية للسماح بانتشار قوات أمريكية داخل القواعد التركية فقد حدث تصرفان هامان:

– ســمحت القــيادة العسكرية ببعض القوافل العسكرية المحملة بالمعدات بالنزول فى الموانئ التركية والعبور خلال الأراضي التركية إلى الحدود التركية وهــذه القيادة التركية العسكرية – من الأعراف المتفق عليها – لها حق للتدخل تحت حماية الأمن القومى التركى.

– وافــق البرلمان التركى أخيرا على فتح المجال الجوى التركى للطائرات الأمريكية العسكرية وفى نفس الوقت دفعت القوات التركية ببعض وحداتها داخل الأراضي العراقية بحجة منع تسرب أي أكراد داخل الحدود التركية مع ملاحظة مــا يسببه هذا التصرف التركى من إزعاج للقيادة الأمريكية التى لا ترغب فى ذلــك لعــدم إثارة القبائل الكردية التى أعلنت عدم قبولها دخول القوات التركية الأراضـــي العراقــية مهددة بمواجهتها والقتال ضدها خاصة، وكما كانت هناك مخــاوف أمريكــية من محاولة كل من تركيا أو الأكراد الاستيلاء على مناطق إنتاج البترول شمال العراق خاصة وقد أعلنت كل منهما رغبتهما فى ذلك ولكن بمطالب وأسباب مختلفة.

كما أن دخول القوات التركية ونشوب قتال بينها وبين الأكراد سيشغلهم عن القــتال بجانب القوات الأمريكية بل ربما ينعكس الحال وليقاتلوا ضد الأمريكيين بسبب سماحهم للأتراك بالدخول بقواتهم الأراضي العراقية خاصة وأنه سيكون هــناك شــك بأن هذا الدخول نتيجة اتفاق غير معلن مع أمريكا. وكذلك تخشي تركيا من قيام الأكراد بإعلان دولتهم المستقلة الشئ الذى ترفضة تركيا بكل شدة وبالطــبع ســيكون لدى الأتراك شك فى أن هذا سيتم بموافقة من أمريكا نظير مساعدة الأكراد لهم فى حربهم بالعراق.

٣– الدور الإسرائيلي والحرب فى العراق

واصلت إسرائيل تحريضها للولايات المتحدة من أجل القيام بعمل عسكرى ضـد العراق، وبدا واضحاً أن إسرائيل كانت على نفس مستوى الشعور السلبى تجاه قرار العراق بالسماح للمفتشين الدوليين بالقدوم إلى العراق ومواصلة أعمال التفتيش دون شروط.

ويعـود الموقف الإسرائيلي الحالي نحو العراق من منطلق وقوفها ضد أى تحـرك عربي للسلام مع إسرائيل والعراق يشكل جبهة الصمود والتصدى التى رفضـت مـبادرة السـادات بـزيارة القدس وتصدت لمعاهدة السلام المصرية الإسـرائيلية لعـام ١٩٧٩، كمـا أن العراق قاد عملية عزل مصر عن النظام العربي، والعزل هنا كان"عقابا"على الصلح والتسوية المنفردة مع إسرائيل.

وارتباطاً بذلك، فقد نظرت إسرائيل باستمرار إلى النظام العراقي على أنه يقـع ضمن معسكر الدول العربية التى تنظر إلى الصراع مع إسرائيل باعتباره صراع وجود، ومن ثم فالحل يكون عبر السلاح وليس على مائدة المفاوضات.

واستغلت إسرائيل حالة التمزق التى مر بها العالم العربى فقامت فى يونيو ١٩٨١ بتدمير المفاعل النووى العراقي، وأعقبت ذلك غزوها لبنان، إذ أن أجواء الانقسام العربى قد شجعت تل أبيب على القيام بأعمال عسكرية معتمدة على عدم توقعها رد فعل عربى متماسك على غرار ما جرى بعد ١٩٦٧ أو خلال إعداد وإدارة حرب أكتوبر ١٩٧٣.

وبطبيعة الحال فإن إسرائيل شعرت بدرجة أعلى بالتهديد من ناحية الشرق بعـد قـيام الثورة الخومينية فى طهران فبموجب هذه الثورة تحولت إيران من حلـيف إلى عدو أيديولوجي، إذ أن الثورة استولت على مقر السفارة الإسرائيلية فى طهران وسلمته لمنظمة التحرير الفلسطينية لتستخدمه كسفارة لدولة فلسطين.

مـن هـنا كانـت إسرائيل صاحبة المصلحة الرئيسية فى اندلاع الحرب العراقـية الإيرانية فالحرب كانت فى المحصلة النهائية إنهاك لعدوين لإسرائيل، وإنهاكهمـا معـا يمثل مصلحة إسرائيلية عليا، ولذلك لم يكن مستغرباً أن تلجأ

إسرائيل إلى إمداد إيران بالسلاح عبر وسطاء فى مرحلة كانت ترمى من ورائه إلـــى إطالـــة أمد الصراع وزيادة معدلات التدمير المتبادل، وهو ما تجسد فيما عرف بفضيحة إيران جيت.

ومـــرة ثانـــية جـــاءت الفرصة لإسرائيل للتخلص من القدرات العسكرية العراقـــية، وذلـــك عندما أقدم العراق على غزو الكويت فى الثانى من أغسطس ١٩٩٠، فقد كانت إسرائيل صاحبة مصلحة فى عدم تسوية الأزمة سلمياً أو فى الإطـــار العربي، وقد ساعدها النظام العراقي على تحقيق ما تريد عندما رفض التجاوب مع الجهود التى بذلت لتسوية الأزمة سلمياً وإعلان العراق قبيل الهجوم علـــى الكويـــت بقدرته على حرق نصف إسرائيل فى حالة عدوانها على دولة عربـــية، أيضـــاً فإن إقدام العراق على الربط بين قضيتى الكويت وفلسطين قد ســـبب نوعـــاً من الارتباك للسياسة الأمريكية التى كانت تهدف إلى بناء تحالف دولى لحسم الموقف عسكرياً، يضاف إلى ذلك قيام العراق بعد بدء هجوم قوات الـــتحالف بـــإطلاق مجموعـــة مـــن الصـــواريخ من"طراز سكود"على المدن الإســـرائيلية، فرغم أن الأثر التدميرى لهذه الصواريخ كان محدوداً للغاية، فإن الأثر النفسي على الجانبين العربي - تحديداً الفلسطينى - والإسرائيلي كان عالياً للغايـــة، فهـــى المـــرة الأولى منذ انتهاء حرب ١٩٤٨ تتعرض مدن إسرائيلية للقصـــف ويقضى إسرائيليون ساعات طويلة فى المخابئ خشية التعرض لهجوم من الخارج.

مـــن هنا بدا واضحاً أنه رغم محدودية التأثيرات الحقيقية للقصف العراقي لإسرائيل، فإن تداعياته السياسية والاجتماعية والنفسية كانت كبيرة للغاية لاسيما وأن إســـرائيل منعـــت من الرد بضغوط أمريكية حتى لا يتسبب الرد فى تفكيك التحالف الدولى، وهكذا اضطرت إسرائيل إلى عدم الرد وركزت فقط على جنى أكـــبر قدر ممكن من المكاسب نظير عدم الاشتراك المباشر فى العمل العسكرى ضد العراق، وفى نفس الوقت كانت على قناعة تامة بأن القوات الأمريكية سوف تتولى تحقيق أقصى ما يمكن أن تطمح إليه إسرائيل من تدمير القدرات العراقية

ونزع قدرات العراق العسكرية لاسيما فيما يخص أسلحة الدمار الشامل ووسائل حملها.

وجاء الرفض العراقي لمؤتمر مدريد للسلام فى الشرق الأوسط والذى عقد فـــى ٣٠ أكـــتوبر ١٩٩١، ليضع العراق على قائمة القوى الموصوفة أمريكياً بـــالعداء لعملية السلام، أيضاً فإن مواصلة رفضه للحل السلمي ممثلا في رفض اتفـــاق أوســـلو، جعل الولايات المتحدة تتعامل مع العراق باعتباره إحدى أبرز القوى المعارضة لعملية السلام فى الشرق الأوسط، وهو الموقع الذى تشترك فيه طهران أيضاً والذى تجلى بوضوح فى ضم الولايات المتحدة العراق وإيران إلى ما أسمته بمحور الشر فى العالم، وهو المسمى الذى يجمعهما مع كوريا الشمالية فقط، أى أن واشنطن تقصر محور الشر على ثلاث دول فقط.

وطـــوال مـــرحلة التفاوض العربى الإسرائيلى، حرص العراق على تأكيد موقفه المعارض لهذه العملية، وبدأ نوع من الانفتاح على سوريا لاسيما بعد تأزم المفاوضـــات الســـورية الإسرائيلية وتجلى الموقف العراقي من عملية التسوية السياســـية التى تنفرد واشنطن برعايتها وهندستها وفى الدعم السياسي والمالي الذى تقدمه بغداد للشعب الفلسطينى على خلفية دعم صموده بعد اندلاع انتفاضة الأقصى فى الثامن والعشرين من سبتمبر عام ٢٠٠٠، فقد كان العراق فى طليعة الـــدول العربية التى بادرت بالتبرع لدعم الانتفاضة، بل وبادرت بالتبرع المالي لدعم أسر الشهداء، وهو ما اعتبرته واشنطن وتل أبيب دعماً "للإرهاب".

العمل وفق الأجندتين الأمريكية والإسرائيلية.

مثلت اعتداءات الحادى عشر من سبتمبر فرصة نموذجية للولايات المتحد الأمريكية من أجل تصفية حساباتها مع نظم حكم عربية رأت أنها لم تكن متعاونة على النحو الذى تطلبه وترضاه، ومنذ الوهلة الأولى لوقوع اعتداءات الحادى عشر من سبتمبر، حرصت إسرائيل على الزج باسم العراق محاولة الربط بين العراق وهذه الاعتداءات بأى طريقة، وفى هذا السياق، حدث نوع من التلاقي الأمريكي الإسرائيلى، فالولايات المتحدة الأمريكية سعت – وعبر التأييد الذى حصلت عليه بعد هذه الاعتداءات – إلى استغلال الموقف للانتقال من الرد على الاعتداءات إلى تنفيذ الأجندة الخاصة بالسياسة الخارجية الأمريكية فى مناطق شتى من العالم، وبخصوص الشرق الأوسط وفى ضوء تحديد أولويات السياسة الخارجية الأمريكية فى مجالي النفط وأمن إسرائيل، حاولت واشنطن استغلال اعتداءات الحادى عشر من سبتمبر من أجل القيام بعمل عسكرى ضخم يقود إلى تغيير النظام فى العراق وتسليم السلطة لنظام جديد موال للغرب وللولايات المتحدة تحديداً، ودفع النظام الجديد إلى الاعتراف بإسرائيل وربما تبادل العلاقات الدبلوماسية معها، وهو أمر يحقق البعدين الرئيسيين للسياسة الأمريكية فى الشرق الأوسط وهما ضمان تدفق إمدادات النفط بأسعار"معقولة أمريكيا"وضمان أمن إسرائيل.

إسرائيل من جهتها عملت على الاستفادة من المساحة المشتركة مع السياسة الأمريكية، خاصة فيما يهم البعد الثانى المتعلق بأمنها وإقامة علاقات دبلوماسية بينها وبين النظام الجديد فى العراق، فتحقيق هذا الأمر يعنى لإسرائيل تحقيق الشق الأكبر من هدفها الرامى إلى"التطبيع"مع القوة الرئيسية فى العالم العربي دون الارتباط بقضية الانسحاب من الأراضي العربية المحتلة، وبالتالي فخروج العراق من معادلة الصراع يمثل هدفا رئيسياً لإسرائيل.

ولكن الأهداف الإسرائيلية من وراء التحريض على ضرب العراق وتغيير نظام لا تتوقف عند هذه الحدود، فإسرائيل لديها مساحة خاصة بها غير متطابقة ع الأجندة الأمريكية بالضرورة، ويمكن أن نلاحظ بصفة عامة بشأن العلاقات لأمريكية الإسرائيلية والشرق الأوسط، أن السياسة الأمريكية أو الأجندة لأمريكية تجاه الشرق الأوسط تتحدد بالأساس وفق الرؤية الإسرائيلية بشكل عام، انطلاقا من أخذ المصالح الإسرائيلية بعين الاعتبار بالرغم من أنه فى الكثير من الحالات عادة ما تتحمل الولايات المتحدة وزر تحمل أو تبنى الرؤية الإسرائيلية، وأيضاً مساوئ وكوارث السياسة الإسرائيلية تجاه المنطقة، ويبدو واضحاً أيضاً أن شقا رئيسياً إن لم يكن الشق الوحيد فى حالة العداء العربي العام للولايات المتحدة يأتى بسبب التبنى الأمريكى للرؤية والمواقف الإسرائيلية، بل إن كافة الاتهامات التى توجه للسياسة الأمريكية باتباع معايير مزدوجة تأتى من مقارنة التصريحات والمواقف الأمريكية عامة بتلك التى تعلنها وتتخذها الولايات المتحدة تجاه الصراع العربي الإسرائيلى مؤيدة لإسرائيل على طول الخط.

من هنا فأهداف إسرائيل من وراء ضرب العراق تتجاوز الأهداف الأمريكية وهنا ندخل فى سياق الرؤية الإسرائيلية تجاه المنطقة ككل والتى تنطلق بالأساس من الرغبة الإسرائيلية القديمة بتفتيت الكيانات الكبيرة فى المنطقة، فإسرائيل عملت فى مناسبات عديدة، وتعمل حاليا و فى المستقبل أيضاً على تفتيت الكيانات الكبيرة فى الشرق الأوسط وتحديداً العالم العربى بهدف ضمان ممارسة دور الهيمنة والسيطرة الإقليمية ودفع المنطقة إلى حالة من عدم الاستقرار والتفتت وهي فكرة محورية فى رؤية وتصور آباء الحركة الصهيونية وفكرة قادة الدولة العبرية، ويمكن القول إن أوضاع ما بعد الحادى عشر من سبتمبر باتت تمثل أجواء مناسبة لعمل إسرائيلى ونشاط مكثف لتفتيت العراق، وشطر السودان، والمثالان غير بعيدين عن حالات أخرى تحتل مواقعها فى التصور الإسرائيلى.

فى هذا السياق أيضاً نجد ملامح لحملة إسرائيلية تروج لمقولة أن الولايات المتحدة لن تتوقف عند حدود العراق، بل إن العراق سيكون فقط البداية ولإ الحملة الأمريكية ستطول مصر والسعودية بعد ذلك ويستندون فى هذا القول إلى أصوات أمريكية سبق لها وتحدثت بوضوح عن احتمال دعم نشاط يهدف إلى فصل الأجزاء الشرقية من المملكة العربية السعودية – المناطق النفطية - وإعلانها جمهورية بحماية أمريكية.

أيضاً هناك تسويق إسرائيلى لما يسمى أفكاراً أمريكية حول تغيير نظم الحكم فى الدول"التى تقع فى خانة"محور الشر وتحديداً إيران والعراق، ثم الدول غير المتعاونة والمعادية لإسرائيل – مثل سوريا – والدول التى كانت موصوفة بالاعتدال وتعتبر فى معسكر الأصدقاء مثل السعودية ومصر والحجة فى ذلك حسب ما تقول مصادر إسرائيلية فى الولايات المتحدة "إليكس فيشمان مراسل صحفية يديعوت أحرونوت فى واشنطن" إن تنظيم القاعدة نما وترعرع على كراهية الغرب بفعل النظم الاجتماعية والثقافية والتعليمية القائمة فى هذه البلدان، وأضاف فيشمان نقلاً عن بروفيسور إسرائيلى قدمه باعتباره خبيراً فى شئون مكافحة الإرهاب، وبعد جولة لهذا الخبير فى الولايات المتحدة ومجموعة من الحوارات فى وزارة الدفاع الأمريكية من الممكن تلخيص موقفهم بعبارة واحدة، إنهم يعتقدون أن العالم العربي هو عالم متخلفين لا يفهمون سوى لغة القوة.

من هذا فضرب العراق بالنسبة لإسرائيل لا يمثل نهاية المطاف، بل بداية لعمل واسع النطاق يضمن استهداف الكيانات الكبيرة فى العالم العربى، ولذلك تعمل إسرائيل على نحو حثيث من أجل عدم تفويت الفرصة، واجتهدت من أجل أن تصل الأزمة الراهنة حول العراق إلى عمل عسكرى أمريكي، لذلك أبدت قيادات إسرائيلية عديدة رفضها لفكرة قبول العراق العودة غير المشروطة للمفتشين الدوليين، ورأت أن القضية باتت تتطلب جهداً أمريكياً للقضاء على النظام العراقى وضمان نزع أسلحة التدمير الشامل الموجودة لديه، لذلك بادر بنيامين نتنياهو رئيس الوزراء الإسرائيلي الأسبق إلى التأكيد على أهمية

استمرار الولايات المتحدة فى خطتها الهادفة إلى ضرب العراق وتغيير النظام لأنه لا شئ آخر يضمن تدمير أسلحة العراق المحظورة.

ومن أجل وضع الولايات المتحدة فى أجواء المواجهة، فقد واصلت الحكومة الإسرائيلية استعداداتها الشكلية لمواجهة تداعيات العمل العسكرى الأمريكي على العراق، فواصلت عمليات تطعيم المواطنين وتوزيع الأقنعة الواقية.

من هنا يبدو واضحاً أنه فى الوقت الذى عملت فيه الولايات المتحدة على استغلال الأزمة الراهنة بين العراق والأمم المتحدة من أجل توجيه ضربة عسكرية للعراق وتغيير النظام السياسي وتولية نظام حليف يتواءم والمصالح الأمريكية فى المنطقة ومن بينها أمن إسرائيل، فإن للأخيرة حساباتها، والتى ليست بالضرورة فى تناقض مع الحسابات الأمريكية، ولكنها تتعدى هذا الهدف المباشر وتصل إلى رؤية خريطة المنطقة ككل وهى خالية من الكيانات الكبيرة.

وفى هذا السياق تبدو منطقية بعض الأصوات التى حذرت الدول العربية الرئيسية من ترك الولايات المتحدة تعتدى على العراق وتفتح الطريق أمام احتمالات تحويل العراق إلى نظام حليف للغرب وتابع له فى تكرار لتجربة حلف بغداد، أو بدء آلية لتفتيت العراق إلى ثلاث دويلات، فالعراق هنا لن يكون نهاية المطاف، بل سيكون مجرد البداية فقط، والدور سيأتى على بلدان أخرى تتعدد بها عوامل الانقسام ومبررات التقسيم ما بين دينية وعرقية ولغوية أو طائفية أو جميع هذا العوامل مجتمعة كما هو الحال فى السودان، أيضاً لا ينبغى أن تتصور دولة عربية ما أو كيان كبير أنه سيكون بمأمن عن هذه العملية، فإذا بدأت عملية التقسيم بالعراق، فإن التداعيات التى ستترتب على هذه العملية ستتيح المجال أمام تنفيذ الرؤية الإسرائيلية التى تطول كافة الكيانات الكبيرة فى المنطقة.

ويعتبر رئيس الأركان الإسرائيلي موشى يعالون أن الهجوم العسكرى الأمريكي على العراق سيؤدى إلى زلزال إقليمي يخلق أوضاعاً جديدة ويعيد توزيع القوة فى المنطقة، وهو يربط بين مصالح إسرائيل ونتائج هذا الزلزال ربطاً مباشراً فالهجوم الناجح سيكون لمصلحة إسرائيل.. أما الفشل فسيكون له ردود فعل سيئة على إسرائيل.

أصبح لإسرائيل دور جديد فى المخطط الأمريكي وهذا ما دعا إلى تنظيم التعاون العسكرى بين الولايات المتحدة وإسرائيل، وكانت البداية تخزين كميات ضخمة من السلاح الأمريكى فى مخازن بإسرائيل على متن سفن أفرغت حمولاتها فى ميناء أشدود وذلك منذ فترة قصيرة، وبناء على التنسيق الذى تم فقد اتفق على أن تحصل إسرائيل على إنذار مبكر بالحرب قبل بدء العمليات بـ ٧٢ ساعة على أن يكون ذلك باتصال مباشر من بوش إلى شارون ثم يظل الاتصال قائماً على مستوى وزراء الدفاع، وستخصص الولايات المتحدة الأمريكية عدة أقمار صناعية لخدمة إسرائيل، حتى يمكن اكتشاف إطلاق الصواريخ العراقية، ليصل زمن الإنذار المبكر إلى ٧ دقائق من لحظة الانطلاق.. ومع لحظة الهجوم الأولى سيكون هناك خط تليفون ساخن مفتوح بين مكتب شارون والبيت الأبيض، كما سيتم فتح جسر جوى ينقل إلى إسرائيل معدات عسكرية إضافية، تستخدم احتياطيا لاستمرار الهجوم، مع تخزين قطع غيار للمعدات الأمريكية فى قواعد إسرائيلية، ويمكن نقلها إلى البحرين والكويت إذا دعت الضرورة لذلك. أما فى حالة أن تقرر إسرائيل التدخل فعليا عليها أن تخطر الولايات المتحدة الأمريكية أولاً.

وقد شمل التنفيذ الفعلى لهذا التعاون الأمريكي – الإسرائيلي وصول قوات أمريكية من هذه الوحدات ربما طعمت بجنود إسرائيليين دخلت فعلاً إلى الأراضي العراقية فى إطار عمليات استطلاع مخابراتى بما يدل على أن هناك دوراً ميدانياً لاستخدام القوات الإسرائيلية يأتى فى حينه، على أن يكون نطاق العمل يرتكز غرباً، وقدر الإسرائيليون أن الضربة الأولى ستكون بالصواريخ

والطائرات التى تأتى من قاعدة ديجو جارسيا ومن حاملات الطائرات بما يؤمن فتح قاعدة جوية وبرية فى المنطقة الغربية فى العراق مع إحكام السيطرة على هذه المنطقة لتكون محوراً للهجوم، وهى خطة قديمة معدلة يقوم بها الجيش الإسرائيلي لرد تهديد للجيش العراقي، وهذه المنطقة موقعة على الخرائط الهجومية الإسرائيلية تحت اسم (هـ ٣ H٣).

مع كل ما سبق فإن التدخل العسكرى الإسرائيلي المباشر فى حرب العراق كان شيئاً مستبعداً لأسباب رئيسية هامة.

أ-أن التدخل الإسرائيلي يخلق حرجا كبيرا للولايات المتحدة حيث سينظر لها كدولة معادية للعرب جميعاً حيث اشتراك إسرائيل العدو الرئيسى بل الوحيد لهم يشكك فى تلك النوايا والأهداف التى أعلنتها كأسباب للحرب ضد العراق.

ب-أن هذا التدخل العسكرى الإسرائيلي يثير حفيظة الدول العربية جميعاً وخاصة الدول الخليجية حيث يظهرها فى جانب واحد مع إسرائيل ضد دولة عربية.

جـ-سيقوى من الموقف العراقي حيث سيكسب تعاطفاً كبيراً من القوى العربية ويقوى من موقف الدول الأخرى المعارضة لهذه الحرب.

*ولكن هل لا شيء يحتم تدخل إسرائيل فى هذه الحرب؟ والإجابة على هذا التساؤل تنحصر فى سبب واحد وهو أن دولة العراق تقوم بتوجيه ضربات صاروخيه برؤوس تقليدية على المدن الإسرائيلية ولو أنها ستكون ضربة محدودة جداً فإذ لم يحدث منها أى خسائر بشرية ربما تتغاضى إسرائيل عنها تحت ضغط أمريكي أو عدم إثارة أي مشاكل بالنسبة لأهداف هذه الحرب أما إذا كانت هذه الصواريخ برؤوس كيمائية أو جرثومية فسترد إسرائيل بضربات جوية أو صاروخية ولكن من المستبعد استخدام قوات برية وسيتم ذلك بتنسيق أو بموافقة من الولايات المتحدة.

ولا يخفـــى على الكثيرين أن إسرائيل بها مخازن للعتاد الأمريكي وقواعد لاســـتقبال قـــوات أمريكية الشئ الذى يساعد الولايات المتحدة فى تعبئة القوات اللازمـــة لحمايـــة مصـــالحها وفرض هيمنتها على منطقة الشرق الأوسط مع عرضـــها بالاشـــتراك الفعلى بقواتها المسلحة فى أي عمليات أمريكية ولو أنها مـــتأكدة من عدم موافقة أمريكا على ذلك لأنه ضد تأمين مصالحها فى المنطقة وعمومـــا فإسرائيل تعتبر من أكثر الدول تأثيرا على مخططى سياسات الولايات المتحدة فى المنطقة بما يخدم مصالحها ومستقبلها. كما أن إسرائيل تعتبر الدولة الوحيدة الفائزة من قيام حرب ضد العراق. ولهذا اعتبرت الحصان الأسود الذى سيحصد جميع الأرباح.

رابعاً: الإعلام والحرب النفسية وهوس الحرب

أعـــدت واشـــنطن حملـــة إعلامية مكثفة للتأثير السيكولوجى على القيادة والشعب العراقى وقواته المسلحة بهدف إشاعة الخوف والفزع مما يترتب عليه ضـــعف الإرادة العراقية لمقاومة الغزو الأمريكى، ويعزز الحملة الإعلامية قيام الطـــيران الأمريكى والبريطانى بضرب أهداف لمواقع رادارات ونيران الدفاع الجـــوى العراقى ليس فقط بهدف تدمير نظام الدفاع الجوى العراقى ولكنه حتى يكســـب الحملـــة الإعلامية والنفسية مناخاً ملائماً لمضاعفة التأثير السيكولوجى علـــى العـــراق، وتـــتخذ الحملـــة الإعلامية والنفسية أبعاداً سياسية وعسكرية، وسنكشف أهم جوانب هذه الحملة.

على المستوى السياسى:

تصـــريحات ولقاءات صحفية بلهجة التهديد والوعيد وإعلان أن من أهداف الحملـــة العسكرية على العراق تغيير النظام العراقى حتى يأتى نظام جديد يدين بـــالولاء إلى الولايات المتحدة الأمريكية وينفذ خطة لنشر الديمقراطية، ثم يركز علـــى خطورة امتلاك العراق أسلحة تدمير شامل مع التأكيد على امتلاكها لهذه الأســـلحة ولو أن المفتشين الدوليين لم يعثروا على مخابئها، وتارة تعلن الإدارة

الأمريكية أن أى محاولة من القيادة العراقية لاستخدام الأسلحة الكيماوية والبيولوجية سيكون الرد الأمريكى عليها نووياً، وتشارك إسرائيل فى الحملة النفسية وتهدد أن أى محاولة عراقية لاستخدام الصواريخ ذات الرؤوس الكيماوية والبيولوجية لضرب أهداف فى إسرائيل سيكون الرد باستخدام أسلحة نووية ونيترونية.

وفى إطار استعراض القوة السياسية تصدر تصريحات عن مسئولين أمريكيين بأن القوات الخاصة الأمريكية ستستولى على الآبار البترول العراقية وتؤمنها، وأن القواعد العسكرية الخليجية الرابطة عليها قوات أمريكية ستستخدم حتى ولو كان ذلك متعارضاً مع رغبة الدول الخليجية. بمعنى أنها أرض أمريكية طبقا للاتفاقات المبرمة.

وتتابعت التصريحات السياسية الأمريكية للضغط النفسى وللردع فى التأكيد على أن الولايات المتحدة ستشن حرباً ضد العراق إما فى إطار تحالف دولى أو بدون موافقة الأمم المتحدة ويكفيها تصديق الكونجرس الأمريكى، وأجرت الدبلوماسية الأمريكية اتصالاتها مع تركيا وإسرائيل للاتفاق على شكل التعاون بينهما وبين الإدارة الأمريكية وادعت أن القوات الأمريكية ستنتشر داخل قواعد تركية لتهاجم العراق من الشمال وأجرت اتصالاتها مع الحكومة التركية وقدمت طلبها لتخصيص قواعد عسكرية وتوالت التصريحات السياسية عن مواعيد محتمله لبدء الحرب، وكثفت الإدارة الأمريكية نشاطها داخل الأمم المتحدة لإصدار قرارات دولية تؤيد الحرب الأمريكية ضد العراق، وشن ضغوط على الدول دائمة العضوية التى تعارض الحرب، وحاولت أن تحصل على تأييد دولى كتأييد دول الناتو ودول أخرى مع احتواء المعارضة التى قامت بها كل من فرنسا وألمانيا والصين وروسيا وبلجيكا، ووجه وزير الخارجية الأمريكية اتهامات للعراق بأنه لا ينفذ القرار ١٤٤١، كما ظل يمارس ضغوطاً على الحكومة العراقية باتصاله بالأكراد فى الشمال والشيعة فى الجنوب، وتوالت تصريحات المسئولين الأمريكيين لتقلل من أهمية قبول العراق تحليق طائرة

التجسس الأمريكية وتقلل من تأثير انصياع العراق لقرار المفتشين بتدمير الصواريخ"صمود"، ويدلى وزير الخارجية الأمريكية بتصريحات فى الأمم المتحدة تدين الانتهاكات العراقية، فى إطار الحملة النفسية تعلن الإدارة الأمريكية أنها لازالت تعتزم حل القضية الفلسطينية ولكنها تترك إسرائيل ترتكب أعمالاً إرهابية ضد الشعب الفلسطينى، وتعلن الولايات المتحدة الأمريكية عن اعتقال شخصيات من القاعدة واستجوابهم وتحاول اتهام العراق بصلته بالقاعدة، وهدفت الحملة النفسية والإعلامية إلى نشر القلق والخوف والترقب، كما سمحت القيادة السياسية والعسكرية الأمريكية بتسريب معلومات عن أسلحة جديدة وخصائصها المدمرة وعن مواعيد محتملة لبدء الحرب وعن حجم القوات الأمريكية وانتشارها فى القواعد العسكرية الخليجية. وفى إطار الحرب النفسية أعلنت الإدارة الأمريكية بأنها قادرة على دخول حربين فى وقت واحد (مع العراق والأخرى مع كوريا الشمالية)، واستمرت الإدارة الأمريكية تعلن تصميمها على شن حرب ضد العراق وأن القوات المشاركة قد اكتمل انتشارها فى القواعد العسكرية وسمحت بنشر الصور التى تدل على أن القوات الأمريكية أصبحت مستعدة للحرب وعن إجراء التدريبات على حدود العراق وتهتم الإدارة الأمريكية بنشر تحركات حاملات الطائرات، كما ظلت تعلن أنها دفعت بقوات خاصة ومنها عناصر من قوات الدلتا لتلاحق الرئيس صدام حسين فى مخابئه لاعتقاله أو قتله، واستمرت الحملة النفسية فى بعدها السياسى، فقد أعلنت الولايات المتحدة الأمريكية أنها تعطى مهلة أخيرة للعراق آخرها يوم ١٧ مارس ٢٠٠٣. وقد رفض الرئيس بوش استلام رسالة صدام إليه والذى قدمها إليه وزير خارجية قطر.

على المستوى العسكرى:

أعلنت المصادر الأمريكية عن تحركات للقوات الأمريكية البرية والجوية والبحرية وتعلن عن حجم هذه القوات ومناطق تمركزها مقرونة بالصور التى تفسر التحركات الجارية، وتعلن عن استكمال خطة الانتشار للقوات الأمريكية

والبريطانية والإستراليه، كما تشير إلى استخدام أسلحة جديدة لأول مرة لها قدرات تدميرية عالية وتصل إلى أهدافها بكل دقة، وقد صرحت المصادر الإعلامية الأمريكية أن واشنطن قدرت شن عدوانها على العراق فى النصف الثانى من مارس، وأن ١٠٠٠ قنبلة إلكترونية سيتم إلقاؤها على العراق فى اليوم الأول للحرب بجانب الآلاف من الصواريخ الموجهة، وأن الفرقة الرابعة المدرعة الأمريكية تستعد للانقضاض على قوات الحرس الجمهورى العراقى، وفى إطار إثارة الرأى العام أصدرت تصريحات من مخاوف أمريكية من تعرض قواتها لهجمات بجراثيم الإنتراكس والجدرى كما أشارت إلى أن البنتاجون قلق من القوات الرئاسية الخاصة التى تخضع لقيادة "قصى" وفى إطار الحرب النفسية أعلنت المصادر الأمريكية عن الأعداد المحتملة للعراقيين الذين سينزحون خارج العراق كما تعلن عن حجم الخسائر المتوقعة مقرونة بأن مدة الحرب لا تتجاوز عدة أيام أو أسابيع معدودة، وعبر شاشات التليفزيون تم تصوير تحرك القوات الأمريكية والتدريبات التى تجرى، وعلى لسان المخابرات الأمريكية توقعت بدء العمل العسكرى ضد العراق خلال ١٠ أيام، وفى إطار الحملة النفسية أعلنت على صفحات الجرائد بأن الحشد العسكرى الأمريكي فى الخليج وشرق المتوسط يتجاوز ٢٢٥ ألف جندى، ١١١ ألف جندى فى الكويت و١٠٠ سفينة حربية تجوب المياه فى مسرح العمليات، وفى إطار الاستمرار للحملة النفسية صدرت تصريحات عن تقرير المعهد البريطانى تحدد ثلاثة سيناريوهات للأزمة العراقية وتعلن أن إسقاط صدام حسين يزيد من النفوذ الأمريكى فى المنطقة ولكنه لا يضمن مزيداً من الاستقرار للعراق، وتحذيرات من تأثيرات عميقة سلبية وتدهور اقتصادي وتصاعد التطرف ونزوح لاجئين، ويشير البعض إلى أن أخذ طلب الحكومة التركية موافقة البرلمان التركى على حشد قوات أمريكية على أراضيها ما هى إلا حركة مسرحية للتمويه عن الحشود العسكرية التى تنتشر فعلا فى تركيا. وقد حسمت الإدارة الأمريكية موقفها ونجحت فى فتح المجال الجوى التركى لطائراتها والحدود لبعض القوافل.

وفـــي إطـــار الحملة النفسية فإن تكاليف الحرب تتأرجح ما بين ٩٥ مليار دولار و١٠٠ مليار دولار وأن العراق سيدفع ثمن احتلاله وإعادة إعماره، كما أن هـــناك توقعات إلى حدوث خسائر بالغة داخل العراق، وسيكون هناك نزوح لعراقيين هـــرباً مـــن هول وأخطار الحرب المدمرة، وكذلك إعلان باول أن الولايـــات المـــتحدة الأمريكية لا تحتاج إلى موافقة الآخرين لحماية أمنها وشن الحـــرب ضـــد العـــراق، وقد أعلن أن القوات الأمريكية تتدفق على تركيا دون انتظار تصديق البرلمان

دور الحرب النفسية والإعلامية في الصراع:

تمثل الحرب النفسية والإعلامية أحد العناصر الرئيسية في الحشد العسكري وأحـــد عناصر النجاح في الحرب.. من هذا المنطلق شنت حملة الحرب النفسية والإعلامية التي خططتها الولايات المتحدة الأمريكية تجاه العراق، ويمكن القول إن الحملة النفسية هذه لم تبدأ مع التخطيط للغزو المنتظر إنما كانت مستمرة منذ الحشـــد العســـكري لقوات التحالف لحرب الخليج الثانية (تحرير دولة الكويت) فاستمرار القصف الجوي شبه اليومي والصاروخي كل فترة وأخرى واستمرار الحصـــار السياسي والاقتصادي والعسكري ضد العراق وكثفت الحملة مع بدء أحـــداث الأزمـــة الحالية من نشر المعلومات عن القوات والقواعد على الحدود العراقية وفي أغلب دول الجوار لها من الكويت وقطر وتركيا وعناصر في كل من الأردن والسعودية وغيرها شكلت ضغطا نفسيا وإعلاميا على العراق.

وقـــد كان للعديد من التنازلات التي قدمتها العراق خلال الفترة القليلة قبل نشوب الحرب مثل تفتيش القصور الرئاسية، تحليق طائرات التجسس U-٢ فوق الأراضـــي العراقـــية، إلـــى استجواب العلماء والكشف الفعلى عن آثار أسلحة التدمير الشامل وملفاتها لمفتشى الأمم المتحدة كل هذا ما كان يمكن أن يتم لولا الحشـــد العســـكري الضخم في المنطقة والحملة النفسية والإعلامية الشديدة التي شـــنتها الولايـــات المتحدة الأمريكية على العراق كما أنها من جانب آخر أثرت

على الروح المعنوية لأفراد الشعب العراقي وهو يرى مصالح وجامعات ومباني خاصة تنتهك حرمتها ولم يستثن من ذلك قصور الرئاسة.

إن العلـوم الاسـتراتيجية والعسكرية الحديثة لا تعترف بما يسمى بنقطة اللاعـودة.. ولكـنها تعـترف فقط بمبدأ كيف يمكن تحقيق المهمة بأقل تكلفة.. وتصـل أي قـوات في العالم إلى قمة النصر إذا استطاعت أن تتحرك بسرعة وتحشـد قواتها في الوقت والمكان المناسبين وتحقق تهديدا جديا وصارما يؤدي في النهاية إلى فرض إرادتها على الخصم.. فتحقق بذلك كافة الأهداف السياسية والعسـكرية المرجوة دون أن تطلق طلقة واحدة.. والعبرة هنا بتحقيق الأهداف وليس الدخول في عمليات عسكرية دون الحاجة وتحمل تكاليف باهظة وتداعيات خطـيرة.. فالحالـة العراقـية لـم تكن بسيطة كما روجت لها وسائل الإعلام الأمريكـية سـيناريوهات الاستسلام، إن الأمر أكثر من ذلك بكثير.. فقد كانت الأمـور قـبل الحرب واضحة الآن، تعاون العراق مع المفتشين لا مشاكل فيه. والمسألة أصبحت فقط مسألة وقت لا أكثر ولا أقل ولا أحد يتوقع أية مشاكل بعد الـتعاون الواضح الذي نراه من جانب النظام العراقي في تعامله مع قرار الأمم المـتحدة (١٤٤١).. الشيء الذى صعب من مهمة الإعلام والحرب النفسية إلا أنـنا نجد تصعيدا مفاجئا في التصريحات، كل فترة يصدر من الإدارة الأمريكية وبشكل متقارب تعلن فيه نفاذ الصبر.. وأن الوقت يمر سريعا وهكذا.

بالتحلـيل المبسط لتلك التصريحات نجد أنها جزء من خطة الحرب النفسية التـي شكلت نفسها في كل فترة زمنية بما يشبه ضربات (موج البحر.. فبتكرار تلـك الضربات وبشكل منتظم تدفع النظام العراقي لحالة من اليأس والاستسلام المـؤدي للانهـيار من الداخل وهذا بدوره سوف يهئ فرصا لأعمال عسكرية استعراضـية تتدرج تصاعديا بهدف معونة العناصر الداخلية لإسقاط النظام من الداخل وهذا هو الهدف الأمثل للإدارة الأمريكية.

ولتحقيق هذا الهدف قامت الإدارة الأمريكية بتسخين الموقف باستمرار مع الـتهديد الدائم بالقوة العسكرية التي أصبحت متواجدة في المنطقة.. كل ذلك من

أجـل إسقاط نظام صدام العراقي دون مشاكل وبأقل خسائر، بحيث إذا لم يسقط النظام يمكن للآلة العسكرية أن تتحرك بحسابات تتصاعد مع الوقت.. ضمن عدة مراحل تبدأ بالضربة العسكرية وتنفيذ المخطط الأمريكي.

كمـا أن الولايات المتحدة منذ عملية عاصفة الصحراء عام ١٩٩١ وحتى الآن مارسـت ضد العراق حرباً استنزافية أمريكية، بريطانية بمعدلات بسيطة، ولكـنها مؤثرة، وفي ظل هذا الضرب الاستنزافي، وجدت الولايات المتحدة أن العـراق بـدأ فـي إعادة بناء بعض قواعده التي تم تدميرها، وطور راداراته، واسـتطاع أن ينصب منصات للصواريخ في محاولة منه لإعادة تنظيم صفوفه ودفاعاتـه مرة أخرى، وعلى الفور نفذت ضده عملية ثعلب الصحراء في عام ١٩٩٨ وهذه العملية كانت قصيرة ولكنها قوية ومركزة، واستطاعت من خلالها تدمير ما أعاده صدام وشل قدرته على تنفيذ أي تطوير مرة أخرى.

كذلك بدأت الولايات المتحدة المرحلة الأولى وهي التي تسبق استخدام القوة العسكرية وتسمى بمرحلة (الردع الجسيم) وتتضمن إعلان الهدف وهو القضاء علـى جميع القدرات العسكرية العراقية ثم استعراض كافة الإمكانيات والقدرات العسـكرية المتطورة محاطة بحملة نفسية كبيرة، تشمل جميع دول العالم وليس العـراق وحـده، لـتؤكد من خلالها على تحقيق الهدف بالقوة، وعلى الطرف الآخـر أن يرضـخ لجميع مطالب الولايات المتحدة، دون أي شروط، وفي أثناء ذلـك تـتدخل دول العالم للضغط على الطرف الآخر للرضوخ حتى لا يتم شن حملة عسكرية قوية ضده، وهذه الحملة النفسية تخلق حالة من عدم المعارضة، واسـتخدمت فـي هـذه المـرحلة جميع الإمكانات من عمليات تحرك للقوات، وعملـيات الفـتح الاستراتيجي لها، وإنشاء قواعد عسكرية في منطقة الخليج، ولإقامـة أضخم مناورات عسكرية في الخليج في قطر والكويت في نفس الوقت مع تدفق القوات والأسلحة والمعدات المطورة والمقذوفات، والتي لم تستخدم في أي حرب من قبل.

وفـي مـثل هذه المرحلة عامل الوقت عنصر مهم فهي عملية تصاعدية، ويصل بالطرف الآخر (العراق)، إلى حافة الهاوية، فإذا رضخ فقد تحقق الهدف ونجحـت المـرحلة الأولى، وإن لم يستجب، واستنفذت جميع التهديدات حياله تستخدم القوة التي تم إعدادها من خلال ضربة حاسمة وفي أقل وقت ممكن.

أمـا المـرحلة الثانـية من الاستراتيجية العسكرية الأمريكية، فكانت تنفيذ الضربات العسكرية المكثفة، من خلال سيناريوهات وضعت للتنفيذ ويتم اختيار الأنسـب في الوقت المناسب للتنفيذ ومنها سيناريو صربيا أو ميلوسيفيتش، ويتم خـلال هـذا السـيناريو توجيه ضربة جوية صاروخية مكثفة، ومستمرة لفترة زمنية، تستهدف كل القصور والمنشآت الرئيسية والمعسكرات الحربية، وأماكن تجمـيع القوات ومراكز الاتصالات، والمنشآت الحيوية التي لها علاقة بالنشاط العسكري أو خدمته، منها الطرق والكباري والبنية التحتية للعراق.

وتهـدف هـذه الضربة مع استمرارها إلى فقد النظام الحاكم السيطرة على الـبلاد، ويحـدث خلل داخلي وانتفاضات في شمال العراق حيث الأكراد وفي الجنوب أماكن تجمع الشيعة، وحتى تصل إلى الأماكن التي يسيطر عليها صدام حسـين داخل العراق، مما يؤدي إلى إسقاط النظام من الداخل، وظهور عناصر تسيطر على الحكم.

ويصاحب هذه العملية العسكرية، حرب نفسية واسعة النطاق، تستخدم فيها كافـة الوسـائل لتحفيز الشعب العراقي والعناصر العسكرية لقلب نظام الحكم، وذلـك عـن طـريق طـرح مشـروعات عديدة للتعاون مع الولايات المتحدة الأمريكـية، والمسـاندة المسـتقبلية، وتشارك في هذه الحرب النفسية عناصر مخابراتـية في الداخل تم تجنيدها وهى مدربة على أعلى مستوى بالإضافة إلى وسائل الإعلام المختلفة.

وهكـذا تسـتمر الحملة النفسية الأمريكية سواء منذ بداية التلميح باستخدام القـوة العسـكرية وحـتى خلال مراحل التنفيذ مع الاستخدام للوسائل المناسبة لتحقيق الحملة العسكرية النفسية على العراق وشعب العراق.

كمـا أن الحملـة العسكرية النفسية الأمريكية وجهت إلى كل من عناصر القـوات المسلحة والمدنيين في العراق فالحملة الموجهة للعسكريين كانت تهدف إلـى إثنائهم عن القتال والدفاع عن النظام ودعوتهم للعودة سالمين أو الاستسلام حـتى لا يتعرضوا للقتل، والحملة ضد المدنيين كانت بهدف انقلابهم على نظام الحكم ودفعهم للترحيب والتعاون مع القوات العسكرية المهاجمة التي ادعت أنها قادمـة لتخليصـهم من النظام الحاكم ومنحهم الحرية والسلام. وفى نفس الوقت تحذيـر العسـكريين مـن الاشـتراك فى استخدام أسلحة الدمار الشامل وأنهم سيحاكمون كمجرمي حرب وحثهم على رفض أي أوامر لقيادتهم بذلك.

ومن أمثلة الآليات المستخدمة في الحرب النفسية:

١-التهديد والوعيد:

ومـن أمثلـته فـي إطار الحملة النفسية أكد وزير الدفاع الأمريكي دونالد رامسـفيلد فـي ٢١ ديسمبر ٢٠٠٢ أن الولايات المتحدة الأمريكية تستطيع أن تخوض في آن واحد الحرب على ثلاث جبهات في إشارة إلى الحملة الأمريكية علـى الإرهـاب وحـربا في العراق ونزاعا محتملا مع كوريا الشمالية وعن محاكمة المخالفين كمجرمي حرب.

٢-التضليل والتشويش:

أ.مـثل المنشـورات التي ألقتها الطائرات والصواريخ للإعلان عن راديو المعلومات الذي كان يبث اللوم والنقد للنظام العراقي الحاكم.

ب.الاتهامات الموجهة من وزير الخارجية الأمريكي كولن باول في خطابه أمـــام مجلـــس الأمـــن فـــي الخامس من فبراير ٢٠٠٣ والتي قدم فيها صورا وتسجيلات تؤكد امتلاك العراق لأسلحة التدمير الشامل.

٣-استمالة القوات المسلحة العراقية:

ومـــنها المنشـــورات التـــي ألقيت على القوات المسلحة تنادي الجنود بعدم الـــتعاون مع النظام والتفكير في العودة سالمين إلى أهلهم وأسرهم، ففي التاسع والعشـــرين مـــن أكـــتوبر ٢٠٠٢ أعلـــن البنتاجون أن طائرات تابعة للتحالف الأمريكـــي البريطانـــي أسقطت طنين من المنشورات فوق جنود العراق تحذر القوات العراقية من استخدام بطارياتها المضادة للطيران وتحمل العبارة الآتية:

"قبل أن تطلقوا النار على قوات التحالف فكروا في العواقب وعلى الجانب الآخـــر تبدو صورة لعائلة عراقية في وضع الحداد"مع عبارة"فكروا بعائلاتكم.. افعلوا ما يلزم للبقاء أحياء".

الحرب الإعلامية الأمريكية:

وفـــي تحـــول شامل في القطاعات العسكرية الأمريكية منذ منتصف يوليو ٢٠٠٢، قـــام وزيـــر الدفـــاع دونالد رامسفيلد وكبار مساعديه بمراجعة المهام العســـكرية وتأسيس دوائر جديدة لكي تصبح"حرب الإعلام"عنصرا مركزيا في أي حـــرب تخوضها الولايات المتحدة، ويتوقع البعض أن يبلغ هذا الجانب نفس درجة الأهمية التي تتمتع بها القنابل وقذائف المدفعية.

حرب المعلومات لها عنصران أثناء زمن الحرب حيث وسائل الاتصالات، وتوصيل المعلومات طرف فعال فى الحرب النفسية.

ويعتـــبر العنصـــر الأول عسكريا بحتا، إذ يتضمن هجمات على اتصالات الـــرادار وأنظمة المعلومات الأخرى التي يعتمد عليها الخصم في تسيير قدراته

على القتال ويشمل هذا الصنف الحرب النفسية التقليدية مثل إسقاط منشورات أو بث إعلام دعائي بين وحدات الخصم.

أما العنصر الثاني فهو غير مباشر، ويتمثل في نشر معلومات عامة يحتاج إليها الشعب الأمريكي كي يعرف ما يجري خلال الحرب، كي يحدد على ضوئها موقفه، ومن المفترض أن تكون هذه المعلومات صحيحة.

ومع تبني هذه السياسة الجديدة، تتزايد مساحة الحدود الفاصلة بين المعلومات الحقيقية والأخبار من جانب، والعلاقات العامة والدعاية والحرب النفسية من جانب آخر، إذ تستهدف السياسة المتبعة بينهما الخصم ظاهريا، فإن ضحاياها سيكونون في الغالب هم الناخبون الأمريكيون.

وجربت أولى خطوات رامسفيلد في هذا الميدان الخطير العام ٢٠٠٢ الماضي حينما تم تشكيل"مكتب التأثير الاستراتيجي"التابع لوزارة الدفاع (البنتاجون) وكانت إحدى مهام هذا المكتب المعلنة بث المعلومات الخاطئة والدعاية المضللة فى الإعلام الخارجي والأجنبي لمساعدة الولايات المتحدة في حربها ضد الإرهاب.

والهدف المعلن لهذا الإعلام الأجنبي، خصوصا في منطقتي الشرق الأوسط وآسيا، مثلما أكد المنتقدون، أنه في عصر الاتصالات الفورية بين كل أصقاع الكرة الأرضية تتمكن واشنطن من القيام بنشاطات الدعاية خارج الولايات المتحدة بدون أن يتم بث نفس الدعاية داخليا

ولمواجهة الاحتجاج الشعبي المتصاعد تجاه هذه السياسة أعلن رامسفيلد أن ذلك لم يكن إلا نتيجة لسوء الفهم فالبنتاجون لم يكذب أبدا على الأمريكيين، كذلك تم إغلاق"مكتب التأثير الاستراتيجي"لكن هاجس السيطرة على الإعلام الشعبي وتكييفه لأهداف الحكومة لم يتم تلاشيه.

فخلال العام ٢٠٠٢ شكل رامسفيلد موقعا وظيفيا جديدا هو السكرتير الثاني المساعد ل"للخطط الخاصة"واعتبرت العبارة صيغة أنيقة خفية لعمليات التضليل

وسيكون المسئول على سياسة الخطط الخاصة في قمة بناء إداري يتم إنشاؤه باسم"حرب المعلومات".

وللوصول إلى ذلك تسلمت"القيادة الاستراتيجية الأمريكية"في الأول من أكتوبر ٢٠٠٢ الماضي وبشكل لم يثر ضجة جميع المسئوليات المتعلقة بالهجمات المعلوماتية على الصعيد العالمي، ولم تكن هذه الوكالة حتى ذلك التاريخ تركز على أي شئ عدا الأسلحة النووية، كذلك تم تحويل مهام القوة الجوية الثامنة التي كانت مكلفة بقيادة القصف الجوي والتي نفذت الحرب الجوية ضد ألمانيا خلال الحرب العالمية الثانية، إلى أطراف أخرى كي تركز بشكل خاص على الهجمات المعلوماتية التي تنفذ على الصعيد الدولي.

وفي الوقت نفسه، عززت القوة البحرية الأمريكية جهودها ضمن إطار قيادي جديد يسمى "القيادة الحربية لشبكة القوة الجوية" بينما أصبحت خطط القدرات الاستراتيجية المشتركة التي أعدتها هيئة الأركان العسكرية العامة تتضمن معلومات لها نفس الأهمية في الميادين الدبلوماسية والعسكرية والاقتصادية.

وتعتبر خطة القدرات الاستراتيجية الموجه الرئيسي للحرب بالنسبة للقيادة العسكرية الأمريكية، فهي تنشئ ما يسمى بـ "الخيارات الرادعة والمرنة للمعلومات" بما يتعلق بالحروب على المستوى العالمي، مثل الحرب على الإرهاب، والخطط المنفصلة التي تهيئ لمسارح حرب من جانب واحد مثل الحرب المحتملة على العراق.

ويمكن القول إن الوثائق الجديدة والتغيرات التنظيمية الكبيرة التي وقفت وراءها ركزت بالدرجة الأولى على مهام مثل التشويش الإلكتروني وتضليل أنظمة رادار الخصم وعرقلة شبكات القيادة والسيطرة لديه، وفعاليات من هذا النوع دفع إلى الأمام تلك الجهود التي ظلت جزءاً من تكتيكات الولايات المتحدة العسكرية لعقود كثيرة.

لكـن تلخيصـا لخطـة القدرات الاستراتيجية ولمجموعة كبيرة من وثائق البنـتاجون كشـفت أن الأسلوب الجديد اشتمل كذلك على عناصر أخرى، مثل إدارة المعلومـات الموجهـة للجمهور، والجهود الهادفة للسيطرة على مصادر الوسـط الإخـباري، والتلاعب بالرأي العام، ملخص الخطة على سبيل المثال يـتحدث عـن "التضليل الاستراتيجي" وعن "عمليات التأثير" كأدوات أولية في حروب المستقبل.

وحسـب توجيه آخر صدر من البنتاجون حول سياسة "حرب المعلومات" سـيكون على القادة العسكريين أن يستعملوا "العمليات المعلوماتية" لرفع معرفة الجمهـور، وكسـب تأييد أكبر للسياسات الائتلافية والقومية وأهدافها لمواجهة الدعاية المضادة ومواجهة المعلومات الخاطئة التي تتسرب إلى وسائل الإعلام.

ووضعت كل من قيادتي القوة الجوية والقوة البحرية عنصر التضليل كواحد مـن خمـس مهـام تدخل ضمن حرب المعلومات، جنبا إلى جنب مع الهجوم الإلكتروني والحماية الإلكترونية والهجمات النفسية والقضايا التي تخص الرأي العـام، ولكـي يتم القيام بعمل جيد في ميدان التضليل، أصدرت هيئة الأركان العامـة"سياسة مشتركة للتضليل العسكري"توجه الدوائر كلا على حدة كي تعمل بـأداء مهامها أثناء السلم والحرب معا، وأمرت هذه الدوائر بشكل خاص القوة الجوية الأمريكية بتطوير نظرية وتقنيات أفضل لإدخال عمليات التضليل كجزء من أي خطط حربية.

ومـن جانـبها، بـدأت القـوة الجوية كرد فعل على تلك الأوامر بتعريف التضـليل العسـكري بأنه فعل يقوم"بتوجيه الخصوم توجيها خاطئا مما يجعلهم يتصرفون حسب أهداف الولايات المتحدة".

ولـيس هـناك شئ خاطئ في السعي لتمثيل وجهة النظر الأمريكية بشكل عادل في الإعلام، داخل وخارج الولايات المتحدة، لكن القيام بذلك بشكل صحيح يتطلـب انفـتاحا أكثر وتخليا أكثر عن السرية غير الضرورية، إلا أن المشكلة

تكمن في رؤية رامسفيلد لحرب المعلومات، إذ أنها تدفع إلى ما وراء التصور الذي يرى أن الأفكار الأمريكية والمعلومات يجب أن تتنافس مع أفكار ومعلومات الخصم على مستوى ساحة الحرب نفسها، فرؤية رامسفيلد من خلال مزجها بالمعلومات الموجهة للجمهور الأمريكي وعنصر التضليل بدأت تتحدر داخل الدوائر العسكرية نفسها فمن خلال برامجهم المنتظمة أوضحت أنه عند حدوث تدخل عسكرى فى العراق هناك خطر بأن يستعمل العراق أو منظمات إرهابية أسلحة كيماوية أو جرثومية قد تؤثر سلبا على المنطقة وقال المسئول:"لا نملك معلومات عن تهديدات محددة لكننا نعتقد مع ذلك بأن إصدار أمر بالرحيل إجراء اضطراري".

كما أمرت أستراليا دبلوماسييها عبر موقعها على الإنترنت إلى"خطر وقوع هجوم من جانب العراق قد تستخدم فيه أسلحة كيماوية وبيولوجية فى حال اندلاع المعارك". وأضافت:"إذا كنتم فى الكويت فعليكم المغادرة بسرعة واغتنام استمرار وجود رحلات جوية". وأضاف البيان أن"أسر العاملين فى السفارة غادرت الكويت".

وفى هذا المجال تستخدم ١٢٠ ساعة بث إذاعي فى حربها النفسية كما أسقطت الطائرات الأمريكية ١٤ مليون منشور فوق العراق تحض العراقيين عسكريين ومدنيين على التمرد وعدم إطاعة أو أمر القيادة العراقية.

وقال سكان عراقيون أن الولايات المتحدة فى إطار توسيعها لنطاق الحرب النفسية على العراق تبعث برسائل بالفاكس إلى سكان بغداد تحضهم على مساعدة الجنود الأميركيين فى حال نشوب حرب. وتضمنت الرسائل كذلك كيفية التقاط بث محطة إذاعة تابعة للجيش الأمريكي تبث إرسالها باللغة العربية.

ونقلت وكالة "رويترز" عن رسالة موجهة أنها تطلب من السكان فى حال التقائهم بجندي فقد طريقة أو طيار ضربت طائرته من القوات المتحالفة أن يقدموا له كل ما يستطيعون توفيره من الماء أو الغذاء أو الرعاية الصحية إذا

كـــان يحـــتاجها، وإرشـــاده إلى الطريق أو إلى مكان آمن وأنهم سيلقون الشكر والمكافأة على ذلك.

ودعـــتهم رســـالة أخرى إلى الاستماع فى وقت الأزمات إلى محطة إذاعة "راديـــو المعلومـــات" وأعتطهم طول الموجة التى يبث الإرسال عليها. أمطرت واشنطن العراق بمنشوراتها الدعائية لمدة شهور. وأسقطت الطائرات الأمريكية الـــتى تراقـــب منطقة حظر الطيران فى جنوب العراق ملايين المنشورات على قواعـــد عســـكرية تحض الجنود على عدم إطلاق النار على القوات الأمريكية وشـــنت الولايات المتحدة كذلك حملة بالبريد الإلكتروني بعثت خلالها بالرسائل إلى مسؤولين عراقيين تحضهم على كشف أسلحة الدمار الشامل المزعومة وعدم الامتثال لأى أوامر باستخدامها.

وتمطر السماء فى جنوب العراق وشمالها بشكل مستمر منشورات تخاطب العراقيين والجنود منهم بشكل خاص وتحثهم على البقاء فى بيوتهم مع عائلاتهم والابتعاد عن"الطاغية صدام حسين"وتحدث أحد هذه المنشورات عن أن الرئيس العراقى يعيش فى ترف شديد. وتساءل المنشور مخاطبا الجندى العراقى"إياهما أفضل بالنسبة إليك عائلتك أم صدام"؟

ونقلـــت "واشـــنطن بوست" عن مسئولين عسكريين أن المنشورات تعكس عملـــيا مخاوف الإدارة الأمريكية من استعداد الوحدات العسكرية العراقية للقتال دفاعـــا عـــن النظام كما خشوا أن يستعمل العراق فى الحرب أسلحته الكيماوية والبيولوجـــية ويقـــدم على تدمير آبار النفط واستخدام المواطنين كدروع بشرية لحماية القيادة العراقية.

ويخاطب أحد المنشورات الجنود العراقيين "إن أى وحدة عسكرية تقدم على اســـتعمال ســـلاح دمـــار شـــامل ستواجه ردا عنيفا وسريعا من قوات الحلفاء. وســـيعتبر قـــادة الوحدات العسكرية مسئولون فى حال استعمال أي من أسلحة

الدمار الشامل" وهذه بعض العينات من المعلومات والتصريحات التى أصدرتها وسائل الإعلام خلال هذه الفترة وسببت نوعا من البلبلة.

وبعد تسارع المؤشرات إلى أن العمليات العسكرية باتت مرتقبة خلال ساعات، وإعلان مفتشى الوكالة الدولية للطاقة الذرية عن تلقى توصية أمريكية بالانسحاب من بغداد، نقل التليفزيون العراقى عن صدام قوله إن بلاده لم تعد تمتلك أسلحة دمار شامل، بعدما كان قد هدد بنقل الحرب إلى"أى مكان فى العالم" إذا نفذت الولايات المتحدة خططها للغزو. وأعرب مرة أخرى عن أمله بألا تندلع الحرب وقال: لسنا بحاجة إلى اختبار شجاعتنا وصمود شعبنا". لكنه شدد على رفض "تسليم العراق" فى حين أعلن وزير الخارجية ناجى صبرى رفض الإنذار الأمريكي الموجه إلى صدام بالتنحى أو مواجهة عواقب الخيار العسكرى.

وبعد سحب قوة مراقبة الحدود العراقية ــ الكويتية، أعلن ناطق باسم الجيش الكويتى أن وحدات أمنية كويتية ستستلم الجانب الكويتى من الشريط الحدودى المنزوع السلاح.

وتزامنت هذه الخطوة، مع التطورات المتسارعة على طريق الحرب، مع إجلاء دول عدة دلوماسييها ورعاياها من العراق والكويت لاسيما الرعايا الأمريكيين والبريطانيين، وفى نيويورك، استبدل مجلس الأمن خطط الاجتماع لمناقشة الاقتراحات الفرنسية ــ الألمانية ــ الروسية بجلسة مغلقة لبحث خطط إجلاء المفتشين والموظفين الدوليين من العراق. واستبقت الدبلوماسية البريطانية ــ الأمريكية ــ الأسبانية الجلسة بإعلان التراجع عن طرح مشروع قرار الحرب للتصويت وذلك فى حملة تبرير لإغلاق النافذة الدبلوماسية ولوم مجلس الأمن واستفردت فرنسا.

ووضعت الإدارة الأمريكية والحكومة البريطانية الختم الأخير على الاستغناء عن المجلس والتفرد بقرار الحرب، واكتفيا بقرار الخيار العسكرى الذى تضمنه القرار ١٤٤١ من وجهة نظرهما.

وكانت جولة اتصالات تلت القمة الأمريكية ــ البريطانية ــ غير آبهة بمعارضة الرأى العام العربى والإسلامي والدولى للعمل العسكرى الذى تزمع الولايات المتحدة شنه على العراق، واصفا"الموقف الأمريكي بأنه تسلط نتألم له والعمل العسكرى بأنه غير مبرر فى أي حال".

ودعا الأمير نايف خلال لقاء مع عدد من الإعلاميين والصحفيين السعوديين فى مقر صحيفة "عكاظ" السعودية فى جدة إلى "التكاتف الوطنى لتجنب المملكة أى خطر أو ضرر، حتى تزول هذه السحابة السوداء عن المنطقة". وأكد أهمية التعامل مع الظروف الحالية بروح المسؤولية الوطنية "لأن الظروف الراهنة تحملنا مسؤولية أكبر، وحض رجال الإعلام على تحمل مسؤوليتهم تجاه وطنهم فى مخاطبتهم الناس" وأضاف: "كل مواطن مسؤول وعليه أن يشارك فى درء الخطر عن بلاده والتضامن مع قيادته ودولته فى تجنب بلادنا أكبر قدر ممكن من آثار وسلبيات قد تنتج عن العمل العسكرى المحتمل". وأشار إلى وجود أخطار على المملكة بسبب الأوضاع الحالية، وقال: "إن الخطر الماثل يحتاج إلى أن نكون جميعا يدا واحدة لا يجد فينا الآخرون إلا القوة والصمود والاعتماد على الله".

الخاتمـــة

إن هذا الكتاب يؤكد على أن الإعداد والسير في طريق الحرب على العراق لـــم يـــبدأ ببدء الأزمة الأخيرة وعرض القضية على مجلس الأمن بل ولم يبدأ التفكير فيه عقب أحداث ١١ سبتمبر . ولكن بدأ التفكير فيه قبل ذلك بفترة كبيرة قد يكون منذ انتهاء حرب الخليج الأولى بين العراق وإيران والتي انتهت لصالح العـــراق أو بـــبدء غزو العراق لدولة الكويت . وقد شجع على ذلك أن مزامنة حـــرب الخلـــيج الثانـــية مع انهيار الاتحاد السوفييتي وتفككه وشعور الولايات المـــتحدة بســـيادتها على دول العالم أجمع وامتلاكها لقدرات شاملة من سياسية واقتصادية وعسكرية غير مسبوقة جعلها تحس بالزهو والقوة التي تشعرها بأنها ليســـت فـــي حاجة إلى العالم ولكن العالم هو الذي في حاجة إليها الشيء الذي أصـــابها بالتعالي والغطرسة وتناست ما كانت تنادى به من قيم والتزامات بنشر الديمقراطـــية والحريات والمحافظة على حقوق الإنسان ونشر السلام واستبدلت بكـــل ذلك الدفاع عن مصالحها القومية فقط وكانت أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ بمثابة الزلزال الذي هز كل هذه القيم والمبادئ وأسقط كل مفاهيمها الاستراتيجية وشكك في آلياتها المستخدمة لتحقيق أهدافها ومصالحها نتيجة شعورها – ولأول مـــرة – بالتهديد المباشر لأمنها القومي ومهاجمتها في عقر دارها بعد أن كانت هي التي تساعد على توفير الأمن والسلام لدول العالم .

واتخـــذ الإعـــداد للأزمـــة العراقية وإدارتها عدة اتجاهات متوازية . اتجاه باســـتخدام هيئة الأمم المتحدة (مجلس الأمن) للضغط على دولة العراق بهدف حصارها وإضعافها بالتحكم في اقتصادها والسيطرة على بترولها والتفتيش على أي أسلحة دمار شامل تمتلكها . واتجاه آخر يهدف إلى ردعها وتخويفها بحجافل من الحشود العسكرية على حدود العراق وفى المياه الإقليمية حولها سواء البحر المتوســـط أو الأحمر أو الخليج العربي أو المحيط الهندي . والاتجاه الثالث هو بالضغط على دول العالم لتأييدها سواء بالترهيب أو الترغيب بمبدأ أعلنته وهو"

مـــن لـــيس معنا فهو ضدنا " ومارست ضغوطا هائلة على الدول العربية ودول الجوار الجغرافي للعراق .

ونجـد بكل أسف وحسرة الجانب الآخر العراقى وقد مارس نفس سياسته العقـيمة التـــي اتـبعها خـــلال الإعداد لحرب الخليج الثانية وإدارتها . سياسة الشـــعارات والأحـــلام غـــافلا ومتناسيا المتغيرات العالمية والإقليمية ورافضا ومتعالـــيا عـــن كـــل النصائح التي توجهها الدول الصديقة متجاهلا كل الثوابت والدلائل التي تؤكد أن التهديدات التي يواجهها هي تهديدات حقيقية وأن الحرب لا محالـــة إذا اســـتمرت فـــي موقفها المتعنت فسرعان ما تخبطت في قراراتها وترددت في تنفيذها فتأتي متأخرة وفى غير موضعها، رفضت لجان التفتيش ثم قبلـــت بها وفتحت أراضيها ومنشآتها على مصراعيها للتفتيش، رفضت التفتيش الجـــوي ثـــم عـــادت وقبلته مما زاد من أعدائها وأضعف من موقف أصدقائها وخاصة الدول العربية التي هاجمتهم ولم تقدر ظروفهم الصعبة التي تسببت في خلقهـــا مما أدى إلى إضعاف الموقف العربي العام أمام الولايات المتحدة والعالم أجمـــع . كل هذا يبين بما لا يدع مجالاً للشك أن هذه الأزمة أظهرت أن هناك جانـــباً يعمـــل بجد وبتخطيط متكامل ويحشد طاقاته وقدراته الشاملة للعمل ضد العـــراق فـــي الوقت الذي كان فيه الجانب الآخر وهو العراق لاهيا في خيالاته وأحلامـــه مســـتبعدا تطور هذه الأزمة إلى حرب ومتهاونا بكل ما يحيق به من مخاطر وأضرار.

وأخـــيرا شهرت أمريكا الحرب على العراق متجاهلة أو متحدية المعارضة الشـــديدة التـــي واجهـــتها من معظم دول العالم وخاصة من حلفائها الأوروبيين (فرنسا وألمانيا وبلجيكا) بجانب روسيا الاتحادية والصين ودول كثيرة أخرى في العالم وعدم موافقة مجلس الأمن وإعلان الدول العربية – بالرغم من ظروفها – رفـــض الحـــرب كحل للأزمة وعدم المشاركة فيها هذا بجانب معارضة الرأي العالمـــي وكـــذا الـــرأي العام الأمريكي والبريطاني والتعبير عن هذا الرفض بالمظاهـــرات وبـــتحرك بعـــض الجماعـــات من شتى دول العالم ومن أمريكا

توجهيـــن للعـــراق للتضامن مع شعبه ضد الحرب. وبالرغم من رفض أمريكا لانصياع لهذا الإجماع غطرسة واستعلاءً، ولكن هذا الموقف الدولي المعارض لاستخدام القوة في حل المشاكل وتفضيل الحلول السلمية يعنى أن العالم يرفض هذه الهيمنة الأمريكية ولو اختلفت الأسباب والدوافع والمصالح وربما تكون هذه المعارضة نواة لعمل يسعى إلى إعادة تشكيل النظام العالمي أحادى القطبية مرة أخـــرى إلى نظام آخر تتعدد فيه الأقطاب خاليا من أسلحة التدمير الشامل ومن الترسانات النووية وخاصة في المناطق الحساسة كمنطقة الشرق الأوسط وربما تكون هذه الحرب دافعا للولايات المتحدة والعالم لحل المشكلة الفلسطينية بإيجاد دولة فلسطينية مستقلة ذات سيادة عاصمتها القدس الشريف .

وإلى دراسة قادمة للحرب البرجماتية التي شنت على العراق لمعرفة تفاصيل أحداثها ونتائجها البعيدة .